الباقورى

ثائر تحت العمامة



نعم الباز



الهيئة المصرية العامة للكتاب

الباقورى

ثائر تحت العمامة

نعم الباز



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٨

إلى الثائر تحت العمامة
لعلك فى مقعد صدق عند مليك مقتدر
تعلم أن فكرك مازال بيننا .

نعم الباز

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

« لماذا ثائر تحت العمامة »

ليس هذا عنوانا لكتاب ولكنه صيغة لشخصية هذا الرجل ـ الشيخ أحمد حسن الباقورى ـ الذى عاش خارج عصره . . طفلا وصبيا ثم شابا وشيخا . . ثار منذ طفولته فى باقور من أعمال أسيوط على الدجل والشعوذة . . ثم ثار على أساليب التعليم فى معهد أسيوط الدينى وهو مازال صبيا . . واستمرت ثورته يؤججها الاستعمار حتى أصبح مشعلا يضىء الثورات حوله وهو طالب بالأزهر الشريف . . وأيضا حينها التزم بشيخه حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين كان ثائرا وحينها استوزر كان توليه لوزارة الأوقاف عام ١٩٥٢ ثورة فى إدارة الأوقاف وفى الوزارة أيضا .

وكان بناء النفس يدور حول قوله دائما « ولنا فى رسول الله أسوة حسنة » حيث أصر أيضا أن تكون رسالته لنيل العالمية حول حياة وسنة سيدنا رسول الله ﷺ .

لقد عاش الشيخ خطوات صاروخية فى طموحات مسورة بسياج منيع من بنية الإسلام نسيجها تشبع مدروس لمجتمع المدينة الذى انصهر فيه المهاجرون والانصار ذلك المجتمع القوى الذى انطلقت منه الدعوة فاخترقت حاجز القوة لأكبر قوتين فى العالم فى ذلك الحين ـ الروم والفرس ـ كان هذا المجتمع بشكله ومضمونه هو زهرة حواره الدائم مع تلاميذه ومريديه .

لقد كانت قناعة الشيخ تظهر جلية واضحة فى محورين لا خروج عنهما وهما الشورى والعدالة الاجتماعية المعتمدة على دراسة مستفيضة لميزان العدل عند عمر بن الخطاب .

عاش الشيخ إسلاما مستنيرا يحارب من أجله فى مجتمع الشيوخ .

والكتاب يجيب على علامات استفهام كثيرة ليست حول حياة الشيخ الباقورى ولكنها تؤرخ لأهم منعطفات ثورة يوليو . . ونسيج الكتاب حوارات مع الثائر تحت العمامة يلقى الضوء من خلالها على الصراعات التى كادت تعوق مسيرة أهم ثورة قامت فى العالم الثالث فى منتصف القرن العشرين والتى كان استمرارها هو الضوء الأخضر لكثير من الثورات التى غزت نظم الحكم بل والبنية الاجتماعية فى الدول التى قامت بها سواء فى المنطقة العربية أم فى الكتلة الأفريقية .

ومن خلال مواقف إنسانية بالغة الروعة والقسوة بين ثائرين أحدهما تحت العمامة والآخر تحت السلاح وأعنى جمال عبد الناصر لعلنا نستطيع أن نعيش هذه الأحداث .

نعم الباز

العجمى
فى يوليو ١٩٨٣

الحوار الأول



طفولة فى باقور
صبى فى أسيوط
وبذور الثورة تحت العمامة

البداية :

● حينما رأيته لأول مرة فى ربيع عام ١٩٥٦ كان وزيراً للأوقاف وكان استوزاره ثورة فى الوزارة فعلاً . . فقد بدأت العناية بالمساجد كتراث وليس كوعاء للدين فقط وبدأت كلمة أوقاف تأخذ معنى حضاريا ليس مغلقاً على المستحقين الذين يعيشون الأستحقاق بوضوح . . بدأت الأعانات تشير نحو مبدأ « إرحموا عزيز قوم ذل » وهؤلاء هم الذين لا يمدون أيديهم أبدا . .

وبدأت مرحلة ترميمات للآثار الأسلامية التى تقع فى كنف الوزارة باعتبارها تاريخا . .

وأصبح منبر الأزهر يزدان بخطيب كان يخطب فيه ثورته الأولى وأصبح واحداً من الذين عملوا فى ربوع ثورة يوليو الحقيقية . .

كان الرجل دائم العمل هنا وهناك يشرف بنفسه على كل كبيرة وصغيرة . . وكنا على عتبات الصحافة والنقد يلمع دوما فى سنون الأقلام فكتبت موضوعا عن الوعظ فى مسجد السيدة زينب رضى الله عنها ووجهته إلى شيخنا أنتقد فيه أساليب المشايخ فى وعظ ضعاف العقول ، وكان سمحاً فى قبول النقد الشاب ، واجتمع بأئمة المساجد وطلب تغيير هؤلاء الوعاظ وتحديد مواضيع الوعظ بما يتفق مع حاجات هؤلاء الناس الذين يفهمون ولا يقرأون . . وابتلعت ثورتى على الشيخ فقد استقطبها وأقر بما قلته . . وأصبحت أواصر الصداقة تربط بينى وبينه وبين آل بيته الكرام . . وأصبحت الصلات دائمة .

. . وإليكم أقدم مصرّ الثورة من خلال هذا الثائر تحت العمامة .

ثورة طفل

فى ذات البيت بمصر الجديدة . . ونفس المكان ، الشيخ على أركيته الشرقية المريحة والحوائط قد غطتها الكتب وأمامها تلمع « النظارة » وعمامة الشيخ تشاركنا الحوار . . وشباب يلمع فى عينيه بين حين وآخر وابتسامة لا تفارق محياه السمح وسؤ ال من أعماق الأيام أسوقه اليه ، وأنا أعلم أن الثائر يبدأ ثورته من أول تفتحه على الحياة .

● طريق طفولتك . . وبدايته فى صعيد مصر . . فى قرية باقور . . حاول أن تحكى لنا بداية الثائر ؟

لم يتردد لحظة وكأنه أمام خيط التف بعناية وأمسك بطرفه فورا فى هدوء أمامه . . وقال الشيخ وهو يستعذب الحديث وما أعذبه .

● ألذ شىء فى حياة الأنسان الطفولة . . غير أن من القواعد المقررة أنه كلما تقدمت بالأنسان السن إلى الأمام تراجعت به ذاكرته إلى الوراء يكون من العسير أن يتذكر الأنسان كل شىء حدث له فى طفولته إلا أشياء معينة تبقى معه ما عاش .

حياة قرى مصر دائماً هى عيش خشن وفيها عدم عناية إطلاقاً بالنواحى الصحية أو النواحى الأجتماعية . . فإن أقصى ما يمكن أن يطمع الأنسان فيه أن يلعب يوما ـ يمكن مرة كل شهر ـ بالكرة الشراب ويكون فى هذه الحالة مستعدا أن يرمى بالتراب فى عينيه فتلتهبان وقد يضع قطرة وتكون قديمة ويبكى أسبوعا وإذا أصابه شىء من الرمد الصديدى أقصى ما يناله من علاج أن يوضع فى حجرة مظلمة لمدة أسبوع أو أسبوعين . . ويقولون إياكم والماء لأنه يفسد العلاج . .

وأردت أن أغلق باب الألم وأفتح باب الأمل فحولت دفة الحديث وكأنى أحول الماء فى الترعة ليروى أرضا أخرى عطشى أيضاً للماء . .

الأصل من تونس

● **نريد يامولانا أن تتذكر لنا الأسرة وبدايتها فى باقور أو قبل باقور .**

وكأنما عاد النيل ليبدأ من منبعه فى رحلته عبر التاريخ فقد هدأ الشيخ حديثه ثم قال :

● كان والدى يذكرنى دائما بأننا وافدون على مصر من المغـرب العربى ومن تونس بالذات من بلدة اسمها « سوسه » . . وكان أهل المغرب العربى على استمرار هذه السنين من أهل التصوف ولذلك كان والدى حريصا على أن يستصحب معه صورة المتصوف الذى يقود حلقة الذكر ويعنيه فى المنزلة الأولى أن يكون أولاده من الذين يأخذون العهود عن مشايخ الطرق فى ذلك الوقت كان هناك شيخ مقدور إسمه الشيخ محمد حامد وكان من أفضل مشايخ الطرق علما وأدبا وشكلا وكان من تلاميذه ومريديه الدكتور على باشا ابراهيم فهو زميل والدى فى الطريقة الخلوتيه ، وذات يوم قال لى : « نعطيك عهدا » فلم أملك شيئا أقوله وكانوا يضعون الذى سيأخذ العهد فى الوسط ويتحلق أهل الذكر من حوله وينشدون أناشيد بأصوات طيبة ثم يذكرون إسم الله فى حوالى النصف ساعة وكأنهم يريدون بذلك إغراقه فى مشاعر وأحاسيس جديدة وعلى ذلك مع الأسف الشديد كان فى كل قرية جهله أضفى عليهم التصوف معنى من القداسة والاستماع لقولهم من الرأى العام ومن هؤلاء رجل يذكرون عنه واصل ولسوء الحظ كان قريباً لى وانبأنى أن رسول الله ﷺ كان يحلق شعره تماما . . وقال لى إن أردت أن تقتدى برسول الله صلوات الله وسلامه عليه فاحلق رأسك . .

● كم كان عمرك ؟

ـ عشر سنوات

ـ ودراستك ؟

ـ الكتاب وكنت قد حفظت جزء عم وكان القرآن قديماً يحفظ من آخره حتى أوله وقد بدأ من سورة قل أعوذ برب الناس . .

وأردت أن نأخذ رأيا تربويا من عالم جليل :

● لنا وقفة . . ما رأيكم فى هذه الطريقة فى تعليم الدين والقرآن الكريم ؟

قال بتمن :

ـ ياليتنا نعود إليها !

● أنهم يختارون أجزاء من السور الكبيرة ولكن لقصار السور موسيقى وجمل تغرى الصغار بالحفظ .

ـ قال بسرعة وهو سعيد برأيه :

ـ تماما . . إن لها موسيقى وتعود الأولاد على نطق الكلمات العربية نطقا صحيحا . .

● نكمل باقى صورة الأسرة !

ـ كان والدى كما قلت واحدا من المتصوفين وكان أبوه الشيخ أحمد عبد القادر وجده الشيخ عبد القادر بدوى كان يزعم - وكل مسلم أمين على نسبه ـكان يزعم دائما أنه رضى الله عنه ينتسب إلى آل البيت عن طريق الحسن بن على من فاطمة الزهراء . . ولما جاء إلى مصر حاول أن يختار زوجة تكافئه فى نسبه .

● هل نزل على باقور مباشرة ؟

ـ لا . . نزل فى بلد اسمها دوينه . . وهى فى صعيد مصر على الجبل فى منطقة أسيوط ثم تحول إلى بلد اسمها « باقور » وهو أسم فرعونى قديم كما أنبأنى الأستاذ حسن صبحى . . وكان جدى عالما من الأندلس ثم طرد إلى المغرب ثم نزحوا إلى مصر . .

جده يتزوج

وحينما جاء الشيخ عبد القادر بدوى وأراد الزواج إختار زوجتـه من بلدة فى صعيد مصر أيضا تقع أمام نزلة الشرفاء واسمها « مشط » وهناك وجدحسينية إسمها « أم على » .

وقطع شريط الذكريات وضحك ثم قال :

ـ هل تتصورين يانعم أننى وأنا وزير فى وزارة الأوقاف جاءنى رجل وقال لى : لقد حضرت لأعطيك ميراثك فى أخوالك وجاء « بملجوطه » . . أو ملقوطه أى قفة صغيرة جدا وبها بعض التمر وقال هذا هو ميراثك من طرح نخلة أنت وارثها . .

وكلما قفز الحديث إلى زمان غير الزمان ألححت فى العودة حتى نصل إلى جذور الشيخ ونعود لأسباب الثورة التى نمت تحت العمامة . .

● نعود لصباك صغيرا بعد أن تحلقوا من حولك وذكروا اسم الله حتى تأخذ العهد . .

وأمسك بالخيط سريعا . . سعيدا بالعودة للجدور وقال :
أخذت هذا العهد . . عهد الطريقة الخلوتية التى كان أبى من اتباعها .

● هل مازالت موجودة ؟

ـ نعم مـازالت موجـودة . . لأن الأسرة لا تـزال موجـودة واسمهـا عـائلة الزيكى .

● ومن هو شيخهم الآن . . ؟

ــ على ما أظن الشيخ محمد أحمد حامد . . وكان شيخى هو الشيخ محمد حامد ويقولون أنه مات فى الحجاز أمام قبر رسول الله ﷺ .

ومن الطرائف التى رمانى بها الجهل الذى يسبغ عليه لون من القداسة أن الرجل الذى أقنعنى بأن حلق شعر الرأس سنة وشريعة إسلامية قال لى : لو كنت تريد أن تكون موصولا ومن أهل الشورى تحت رياسة السيدة زينب رضى الله عنها لابد أن يكون فيك قوى روحية . وكنت مستعدا فى ذلك الوقت أن أفعل أى شىء وزعم لى الرجل أن أقرب طريق للوصول إلى الله أن أتلمس قبرا دفن فيه ميت حديث وأن أبيت الليل معه . . . وسرت قشعريرة فى بدنى وخرج الخوف فى جملة :

● **هذا صعب جدا .**

قال وكأنه يتمثل ما حدث :

إنه فى غاية الصعوبة . . إن هذا الحادث كلما تذكرته فى بعض الليالى وتمثلت كيف ووجهت بهذه التجربة فإنى أظل مستيقظا حتى الصباح . .

وأكمل الحكاية وكأنه صوت يأتى من أعماق الخوف : كنت فى هذه الأيام أصوم رمضان وأصلى وأقرأ وِرْد التَّسَحّرَ وانتهزت فرصة بعد ذلك وكانت بلدتنا تقع شرق النيل والمقابر كعادة أهل الصعيد غرب النيل وكان لابد أن أنتهز فرصة يوم الخميس وليلة الجمعة وعبرت إلى غرب النيل أبحث عن قبر حديث الدفن لأنام فيه ووجدته فعلا ودخلت ولكن أطوافا من الخيال جعلتنى فى تلك الليلة أعيش مع إنسان يحدثنى وأحدثه . . وبعد فترة قصيرة فتحت عينى ووجدتنى فى عيادة طبيب فى أسيوط إسمه عبد الفتاح لأننى صرخت صرخات متوالية أزعجت الناس فهبوا إلى وظنوا أننى جئت إما لأخذ شيئا من البيت أو أنى مجنون وعلى ذلك لابد من فحصى جيدا .

وأنا أحكى هذه الحادثة لأننى خرجت منها فى غيبة كاملة من الوعى وهى حادثة أسوقها للناس أصحاب الأولاد حتى لا يسلموا قياد أولادهم لغير أمناء على التربية الصحيحة . . والولد فى هذه السن يكون متفتحاً ويبلغ أقصى ما يتطلبه منه الدين لو قضى ما تطلبه منه الدنيا فالأنسان فى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة يكون حريصا أشد الحرص على أن يبلغ الغايات التى تكاد تكون خيالا أو هى أقرب إلى الخيال من الحقيقة . .

إن هذه الحادثة لا أستطيع أن أنساها ويقولون إن كل من خرج من العهد لابد أن يصاب أو يعاقب فى حياته أو جسمه بأية مصيبة .

ولابد أن يعى الناس جيدا بحيث لايسلمون زمام أولادهم لمن لايفهمون وكان هذا المعنى من أصعب المعانى التى مرت بى فى حياتى .

وأحسست أن صاحبنا كان هنا فى مفترق طرق وأنه بدأ من هذا المنطلق يفكر فى التحرر من هذه الأفكار وأن يثور عليها . .

● كيف تخلصت من هذه الأمور . . كيف استطاع عقلك الصغير أن يتحرر منها ؟

ابتعدت عن هذا الشيخ . . وأصبحت أكثر قربا من أبى وكان منقذى أيضا معهد أسيوط الدينى الذى أنشىء فى ذلك الحين وقالوا إن الذى يحفظ القرآن أو جزءاً منه يستطيع أن يدخل المعهد . . وحرص أبى رحمة الله عليه أن يلحقنى بالمعهد .

أردت أن يوضع حوارنا فى شكل وثائقى فقلت أعترض مجرى الحديث :

ـ أريد أن أعرف كم كان عمرك تماما فى ذلك الوقت ؟

قال :

ـ ولدت فى ٢٦ مايو عام ١٩٠٩ ولكن هناك واقعة طريفة ترتبط بمولدى وهى تعطى فكرة عن حال الناس فى ذلك الحين . . فقد ولد لى أخ قبلى بعامين فى مايو عام ١٩٠٧ وأصيب بالجدرى ومات . وبعد عامين رزقت أمى بمولود هو أنا وقالوا ليس هناك داع للتسجيل ولدينا شهادة ميلاد وعلى هذا أعطونى عامين زيادة فوق عمرى وكان السجل قد كتب أحمد حسن حمد ونحن ليس فى جدودنا حمد فقد نسى الرجل حرف الألف وتركناها كما هى ولكن حينما جئت إلى القاهرة ودخلت الأزهر وأخذت شهادة التخصص أحببت أن أصحح الخطأ فكتبت إلى الدفتر خان فى أسيوط وكتبت هكذا . « أحمد حسن الباقورى » ابن الشيخ عبد القادر بدوى وبعثت لهم بخطابى . . كان هذا عام ١٩٣٤ . . هل تتصورين أنه جاءنى الرد بتصحيح الإسم الأصلى وأنا وزير للأوقاف عام ١٩٥٥ . .

● ما شاء الله بعد ٢١ سنة . . بلغ الخطاب سن الرشد !!

ـ تماماً . . وجدت إشعاراً وصلنى وقالوا لا داعى لعملها نكتة وتنشرها فى

الجرائد . . ولم أنشرها أنا إلا هذه الأيام أى بعد ٢٨ عاما . .

هـذه القصة المضحكـة تعادل مـا عانيتـه فى المقبرة من خـوف . . هذه هى التعادليات أن يعادل الشر الخير والمضحك المحزن . . ذكرت لكم النوم فى القبر ثم ذكرت إلى جانبها هذه الصورة . .

***

وبشكل وثائقى أيضاً تعمدت هذا السؤال :

○ من كان مثلك الأعلى فى تلك الفترة المبكرة ؟

قال وما زال يعيش نفس القدوة :

ـ سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كانت قراءتى لورد السَّحَر وسيرة رسول الله غسلت قلبى عما عداه . . ومسحت تلك الصورة السيئة التى أخذتها من ذلك المتصوف المشعوذ التى ما كان يجب أن أتعرف عليها .

وأردت أن أرسم صورة للمكان الذى عاشه تماماً ونفس الحى الذى أشترك فى تكوينه فسألته وأنا أعلم أنه خير من يصور الكلمات :

● كيف كانت القرية المصرية فى ذلك الحين ؟

قال كأبلغ ما يكون الوصف وكأنه رسام بالريشة وجعل يرسم صورة من الفن الواقعى النابض بالحياة :

ـ كانت قريتى مثل كل قرية . . كانت البقرة جزءاً أساسيا مع الذين تتألف منهم الأسرة . . . وما إن يجىء فصل الشتاء فينصب بـوص فى الخلاء ويـأخذون الأسرة كلها إلى هذا البوص وخارجه تربط البقرة لترعى وتشرب ويحلب لبنهـا فى الصباح الباكر ويصنعون منه القشدة والزبد والجبن . . كان هذا البوص يسمونه « الحماد » . . وكان السبب لخروجهم أن البقرة حينما تلد فى البيت تفسد البيت ولهذا يخرجونها خارجه لاحتياجها إلى مكان فسيح تأكل البرسيم وتشرب الماء ويكون حولها مكان فسيح لفضلاتها .

كانت أمى توقظنى قبل طلوع الفجر لألحق بالكتاب فى القرية . . وقشعريرة تنتابنى وأنا أتخيل حياة الخلاء فى الشتاء .

● كيف كانت الحياة فى « الحماد » . . قارسة البرد أم دافئة ؟

قالت بسرعة :

ـ لا . . برد طبعاً كيف يكون الخلاء دافئاً ؟ . . كنا نحاول أن نستعين بالنار على البرد فكنا نوقد « الكانون » لنطهى عليه الطعام . . وهناك صورة لقسوة الطبيعة فكنا فى الصباح حينما نمشى على البرسيم وقد بلله الندى كأننا نمشى على نار ذلك لأن البرودة إذا اشتدت تنقلب إلى نار . . طبعاً المفروض أننا كنا نستخدم الحذاء ولكن هذا كان تجاوزاً . .

وصورة من صور الحنان لجدتى العجوز . . فقد كنت آخذ البقرة لأفطرها البرسيم وحينما أعود أجد جدتى قد أعدت لى إناء الحليب وقد وضعت معه الخبز المفتوت وكنت آكله وأجده لذيذاً جداً ثم أتوكل على الله وأذهب إلى الكتاب .

وتعجبت للأم التى لا تعرف سحر الكلمة المكتوبة . . وكيف يطاوعها قلبها أن يصحو صغيرها فى الفجر ليتعلم شيئاً لا تعرفه . .

وسألته : كيف كانت الأم فى القرية تكبت كل حنانها من أجل تعلم الصغير وتخرجك فى هذا البرد القارس ؟ . .

قال وكأنه يقيم الأم المصرية فى تلك الفترة :

ـ نعم كانت تفعل الأم المستحيل فى سبيل تعلم أولادها . . لقد كانوا يلقنونها أن الزمان كلما مشى على الولد . أصبح رجلا قويا بعد ذلك . . المهم أن يحتمل الشدائد وكان التعليم شيئا جديدا والتعليم الدينى منتهى أمل الناس فى القرية . .

* * *

ومع بداية عامة الحادى عشر . . كانت قدماه الصغيرتان قد عرفتا طريق الشوارع المرصوفة فى مدينة أسيوط وكان قد عرف طريقه إلى المطاعم ليأكل الفول والخبز الذى يأكله أهل المدينة ويودع « البتاو »

● **كيف كانت حياتك فى أسيوط ؟**

ـ قدمتها مع أبى لألتحق بمعهد أسيوط الدينى فى نهاية سنة ١٩١٩

أحسست أن البندر شىء والريف شىء آخر . . الريف ليس فيه إلا التراب فطمى النيل يتحول إلى تراب إذا ثارت عواصف تجد التراب يملأ كل شىء فيك . . فى البندر عربات تقودها الخيول و « عربجى » قاعد بمنظر لطيف والأرض مسفلتة وفى الصباح تقعد فى دكان ومعك تعريفة تأكل رغيف وفول نابت . . . شىء مختلف

عن القرية تماما . . كنت أذهب إلى أسيوط يوم الجمعة وأظل بها طوال الأسبوع ثم أعود إلى القرية يوم الخميس وأبات للجمعة . . كنت أركب « الركوبة » الحمار من باقور حتى أسيوط وكانت المسافة فى ٥ ساعات أو ٦ ساعات . . أحيانا كنت أمشى على قدمى . .

***

ومن الأحداث التى لا أنساها أبدا نتيجة التأخر والتخلف فى القرية وعدم وجود الكهرباء والوعى الكافى . . أنه حدثت حادثة أتذكرها كأنها وقعت بالأمس . . فقد مشيت ذات ليلة فى الظلام وكانت أمى وضعت طفلا رضيعا وأنامته أسفل السلم على الأرض فإذا بى أمشى دون أن أشعر على بطن الرضيع . . ومات الصغير . .

وإذا كان هناك إنسانا يحس بجريمة قتل فى حياته فأنا لدى هذا الاحساس . . وعن طريق هذه الحادثة هنا جقيقة علقت فى ذهنى صور من الإهمال وأن المسلمين مرت بهم من العصور ما تعتبر كلمة ظلام لا تصور الحقيقة بل أقل منها بكثير . . فهى ظلام وفقر ومرض . .

كل هذا حينما يجتمع على شعب فلابد من تآكله كل هذا كان له أكبر الأثر فى حياتى بعد ذلك . .

فكل خطوة خطوتها كان لهذه الحياة الاجتماعية أثر فى تصرفاتى . . هذه الصور هى التى أذكرها جيدا من طفولتى . .

***

وكان الربط وثيقا بين معطيات الثائر بعد ذلك ومعاناته فى الصغر وهى معاناة جيل كامل . . استمر يسرد مبررات ثورتها بل أسباب تحريضه على الثورة . .

أذكر مرة أننى خرجت ألعب ـ وكان أبى وأمى يمنعاننا من اللعب ـ ذات يوم كنت ألعب نطة الانجليز ـ وكنت خفيف الحركة فسبقت صغيرا ممتلىء الجسم فاغتاظ أبوه وأخذ حفنة من تراب وألقاها فى وجهى وامتلأت عيناى بالتراب وأصبت بالرمد الصديدى وبقيت فى حجرة مظلمة مغلقة لا أرى نورا لمدة خمسة عشر يوما . . وهنا تضاعفت فى نفسى معانى الخلوة الفطرية التى يضيق الناس بها . .

ومن هنا كنت من أقرب الناس دفاعاً عن الوحدات الصحية التي فكرت فيها ثورة يوليو فى القرية . .

● **من هذه المحنة تولد عندك الاهتمام بالمستشفيات ؟**

● كان لهذه القصة فعلا أثر فى نفسى . . فقد تمنيت أن تكون هنا مستشفيات فى القرية يفيد منها الفقير والغنى أو الفقير قبل الغنى . .

● **يعنى ثورة !**

ـ وكان هذا هو أول عمل عملته بعد أن توليت وزارة الأوقاف فقد زرت مستشفى قايتباى الموجودة فى بيت القاضى وكنت دائما أساعدهم لتحقيق الخدمات حتى أننى كنت أحيانا أخرج على النظام الموضوع للمستشفيات وكنت فى مجلس الأوقاف الأعلى وأنا رئيسة وأعضاؤه هم وزراء المالية والصحة ووزير التعليم كنت أخرج عن الميزانية وأعطى للذين يعملون فى المستشفيات مكافأة وكانت هذه تحرج بعض الوزراء ومنهم وزير الصحة وهو أخ عزيز لدى هو الدكتور نور الدين طراف فكان يقول لى :

ـ إذا كنت أنت حتعمل كده . . إحنا حنعمل إيه ؟ . . إحنا مقيدين بالميزانية ياشيخ أحمد . .

هذه كانت من أحلام الطفولة التى حققتها وأنا فعلا وددت أن يكون لكل مواطن قدر على أن يعيش فى حياة هادئة . . مشروع الحفاء أيضا عملت فيه وزارة الأوقاف شأنا كبيرا . .

المعنى الكبير الذى أخذته من التصوف الرفق بالناس كذلك من معانى الاسلام « أكرموا عزيز قوم ذل » . .

* * *

وتركته يسترسل وقد أحسست أن قطع حبل الحديث يقلل من التدفق :

ـ بعد مصادرة أموال الأسرة المالكة ، كانت هناك أميرات يكدن لا يجدن القوت الضرورى وأشهد أننى كنت أخرج لهن جزءاً مضمونا من الأوقاف .

● **بعد ثورة يوليو زاد إيمانك بحكمة الإسلام « أكرموا عزيز قوم ذل » . . كيف والثورة عليهم . .؟**

قال يؤكد ما فعل غير هياب إلا من الله سبحانه وتعالى :

ـ هذه الحقيقة الحرص على المعانى الوطنية والعصبية الأسرية ضد القانون كنت أمقتها كنت أريد أن أستبدل بالعصبية الأسرية عصبية القانون . . أنا ضد العصبية لأى شىء . .

بلدنا . . قريتنا كان بها عدد كبير جدا من الأقباط وكان بيتنا فى موقع المسيحيين . . وكنانادى المسيحيين بياعمى وكانت لها صديقة عزيزة جدا إسمها دميانة ولأنى كنت أنادى جدتى « بستى عزيزة » كنت أنادى صديقتها (بستى دميانة) وكانت تضعنى فى مكانة هامة عندها . .

● هذه هى الوحدة الوطنية الحقيقية !

واسترسل الباقورى :

ـ أنا أذكر من ستى دميانة شدة برها بى فى طعامى وفى منامى . . أذكر جيدا أنها كانت تضع قدمى الباردتين فى الشتاء بين قدميها لتدفئنى . . أنا أذكر ستى دميانة مثل ما أذكر ستى عزيزة بالخير دائما . .

* * *

ولا يمكن أن يكون كل ما قال عن أسيوط هو كل ما نريد فقلت أسترجعه :

● هل يمكن أن نعود إلى حياتك فى أسيوط ؟

وعاد الرسام الفنان يرسم صورة دقيقة لحياة الطالب القروى فى المدينة :

ـ حياتى فى أسيوط كانت مثل كل طلاب مصر حين يفدون إلى المدن لطلب العلم . . كنا نسكن حجرة أنا وزملائى الطلاب . . كانت هى الحمام وحجرة الجلوس والمكتب فى آن واحد . . كان سريرنا هو « جحش » من الحديد أى قطعة من الحديد هنا وأخرى من الحديد هناك وعليها الواح من الخشب . . هذا من حيث السكن والعيش . . أما الأحوال السياسية فقد كانت حركة الوفد قد بدأت وبدأت الاعتقالات فى عام ١٩٢١ بعد الافراج عن سعد باشا وكانوا قد أخبرونا عن أحوال ثورة ١٩١٩ فى أسيوط حيث أنهم كسروا متجرا أجنبيا كبير اسمه بنك شتاين ويقال أن من كثرة العطور التى كسرت فيه كانت رائحة المكان نفاذة جدا ويكاد يغمى على

الشخص الذى يمر من أمامه من شدة العطر .

وبعد أن ألف سعد باشا الوزارة كان أصغر وزرائها هـو وزير الأوقـاف محمد نجيب الغرابلى باشا وأنا أذكر جيدا هذا الرجل لأنه جاء إلى أسيوط مع وفد بالنيابة عن سعد ودعينا لنحضر حفل تكريمه وجاء بقصيدة مطبوعة جاء فى مطلعها :

قل لقوم فى هواها أدعياء
أنتمو الأرض وزغلول سماء

وعن الوحدة الوطنية قال :

موسوى عيسوى مسلم
كلهم فى النهضة الكبرى سواء
سائلوا المدفع إن شئتم
فهل ميز المدفع بين الشهداء ؟

*** ***

وإذا كان الثائر الصغير قد ثار على ما حوله فى القرية فكيف الحال به طالبا متأثرا بما فى الكتب . . هل يظل معتمدا على المعهد فقط . . وبحثت عن أرضه الجديدة .

● ما هى الروافد الثقافية الأخرى التى اشتركت فى تكوينك بعد الاستزادة من القرآن الكريم وكتب الشريعة والتفاسير ؟

قال وهو يبرز الإنسان كمصدر من مصادر الثقافة :

ـــ كان لدينا أساتذة يدرسون لنا الأدب العربى ومنهم الشعراء وأعظم ما فيهم أنهم كانوا يدعوننا لمناقشاتهم . . كان منهم الشيخ عبد الرحيم العدوى رحمة الله عليه . . كان دائما يقول الشعر . .

● من هو شيخ معهد أسيوط الدينى فى ذلك الحين ؟

كان الشيخ إبراهيم الجبالى أول شيخ لمعهد أسيوط الدينى وجاء من بعده الشيخ الأحمدى الظاهرى ـ الشيخ ابراهيم الجبالى كانت فيه أناقة وهيبة كان وحريصا على العلم وكان فى ذلك الوقت يأتى إلينا مفتش اسمه الشيخ صادق عزام وكنا نجلس فى ذلك الوقت على الأرض ويأتى الشيخ المفتش ويكتب ملاحظاته ويطلب كراسات الانشاء ليقرأها ويطلب ملاحظاته أيضا . .

أما الذى أثر فى تماما فهو أستاذنا الشيخ عبد اللطيف . . وأستاذنا الشيخ عبد الجليل عيسى اللذان نقلا إلى أسيوط معاقبين من الأزهر . . كان كل منهما يحثنا على قراءة جريدة الأخبار التى كان يصدرها أمين الرافعى وأذكر من كتابها كاتباً اسمه محمد على حسن كان يكتب كلمة المجلة وكنا أيضا نقرأ الكشكول وبه دائرة المعارف الوفدية ويضع كلمات تأخذ طابع الاضحاك . . وفى هذه الأثناء أيضا قرأنا العبرات والنظرات للمنفلوطى وقرأنا أيضا ترجمات أحمد حسن الزيات رحمة الله عليه وهى الام فيرتر وروفاييل وهما من أمتع ما يمكن أن يقرأ . . وكنا نقرأ ونبكى من أجل البطلة التى تقع فى مأزق . . وكانت روح الجماعة تسيطر علينا فى ذلك الحين فكان يقرأ أحدنا والباقى يستمعون إليه .

وإذا غابت عنا كلمة يسأل بعضنا البعض . . وإن لم نعرف نسأل الشيخ ثم ننتفع بهذا بعد ذلك فى مواضيع الانشاء .

ثم اتجهت بعد ذلك اتجاها أدبياً ثم اشتغرقنا فى الشعراء القدامى .

* * *

● من من الشعراء القدامى كان يستفزك فتقرأ له وتشعر أنه يختطف اهتمامك أكثر من باقى الشعراء ؟

قال وهو يعرض حبه الأول للشعر الذى ظل يلازمه حتى الآن :

ـ كنت أحب المعلقات السبع وحفظتها وأنا طالب ثانوى فى معهد أسيوط الدينى ولم يتجاوز عمرى حين ذاك السابعة عشر . . ومن هنا بدأت تتكون فى ذاكرتى حفظ الشعر . . ثم غذانى شعر أحمد شوقى وجميل صدقى الزهاوى العراقى وكنا نغرق فى السياسة الأسبوعية التى كان يرأس تحريرها محمد حسين هيكل . . فبدأنا إذن بعد وفاة سعد . .

* * *

كان لا يمكن أن أترك وفاة سعد دون أن أسأل وأعرف . . فإن وفاة سعد زغلول تركت بصمتها واضحة فى كل شباب مصر فى ذلك الحين وسجلها نجيب محفوظ فى ثلاثيته وأحدثت تصدعا فى بناء الرواية وبناء بعض شخصياته فكان لابد أن أعترض النهر حتى ولو فاض على الجانبين ـ أقصد نهر الكلام لصاحبنا أبو الكلام . .

● لنا وقفة عند وفاة سعد زغلول . . كيف كانت أسيوط حينما توفى سعد زغلول ؟

الحوار الثانى



هو وحسن البنا
وثورة الأزهر

قلت وكأننى أمسك بالكاميرا « وأهم بالضغط عليها لأنقل صورة مادية تصور حالة وجدانية للشيخ وهو شاب يستقبل خبراً كوّن نهرا دراميا لا ينساه شباب مصر الذين عاشوا ثورة ١٩ .

أردت أن أستعيد بأثر رجعى تأثر الشاب اليافع الثائر فى غلاف من الدين الحنيف . . أردت أن أرى على قسمات وجهه مستقبلا من عقله ما حدث يوم وفاة سعد زغلول فكان هذا الوصول .

● **كيف كانت أسيوط حينما توفى سعد زغلول ؟**

أحسست به يتمهل الحديث ويبدأه وكأنه مصاحب بنشيد بلادى بلادى لك حبى وفؤادى . . قال وكأنه يصف جنازة سعد زغلول فى قلوب أهل أسيوط . .

ـ حينما توفى سعد زغلول كانت أسيوط تموج بالوفديين وكان أهل أسيوط قد تحدد موقفهم تماما حينما تقاتل الوفديون مع الأحرار الدستوريين فى قريه « الحواتكة » مع آل محفوظ باشا . . والأسايطة كانوا وفديين . . فكانت كفة الوفد دائما راجحة هناك . . وكانت وفاة سعد كأنها مصيبة خاصة لأهل أسيوط . ولأنه كان زعيما بلا منازع يمتد حبه فى ربوع القرى وبين المدائن فقد بكت أسيوط كلها ريفا ومدنا .

ولأننا نعتبر القطوف توثيقا لتاريخ الشيخ فقد كان لابد أن أسأله :

● **ماذا كان يمثل سعد زغلول بالنسبة لك فى ذلك الحين ؟**

قال بلا تردد وبسرعة :

ـ كنت أحبه وأحب من حوله . . وكانت وطنية سعد مثالا للوطنية .
وحفظ الناس فى أسيوط قول نجيب الغرابلى باشا حينما جاء إلى أسيوط بالنيابة عن سعد وصحبه :

قل لقوم فى هواها أدعياء   أنتمو الأرض وزغلول سماء

وهذه تعنى أن حب سعد لمصر يفوق كل حب أى وطنى لها . . وكنا نحب سعد رغم محاولة بعض الشيوخ الذين كانوا يكرهون الوفد أن يلقنوا الشباب أخبارا تشكك فى سعد ولكننا نتتبع ما يفعل الرجل ولا نستمع لأقوال الخصوم . .

* * *

وبدأت الثورة فى عقل الشيخ الصغير ثورة بالكلمة فبدأ يكتب الشعر وبرع فى الأرتجال ثم الالقاء وكانت طريقته مميزة فى القاء الشعر ويقول :
ـ وأذكر وأنا فى بعثة الحج عام ١٩٤٥ قابلت نجيب الغرابلى باشا وألقيت أمامه قصيدته التى قالها فى سعد زغلول وفى الوحدة الوطنية . . وقال الرجل وهو يتعجب : ـ

ـ أنا فعلا قلت هذه القصيدة وأنا صاحبها ولكنى لم أكن أعرف كيف أنشدها كما سمعتها منك وظل يستزيدنا حتى جمع علينا الحجاج .

● كيف كان التنافس بينك وبين أستاذك الشيخ العدوى ؟

قال وهو يبتسم ويستعيد حياة الفرسان فى الشعر :

ـ كانت هناك مناسبة وطنية وكنا نعد قصائد لتحية القادمين وكتب شيخى قصيدة وكتبت أنا قصيدة فجاءنى يسأل :

ـ ماذا كتبت ياولد ؟

قلت : لا . . لن أعطيها لك . .

فقال : طب قولىّ آخر القصيدة . . بأى حرف تنهيها ؟

قلت : نون

قال : أما أنا فقد اخترت كاف . .

● ماذا تذكر من القصيدة . . ؟

قال : اذكر بيتا واحدا منها :

غـرض لهم يسعـون فى تحقيقـه من حب مصر ومن هوى السودان

واجتمع بعدها علماء المعهد وقالوا لو عندنا جائزة لأعطيناها لك وأطلقوا علىّ اسم شاعر الطلبة .

وأصبح على عاتقى منذ ذلك الحين أن أنشد القصائد فى المناسبات الوطنية والأدبية وغيرها . .

● ومن القصائد التى لا تنساها لنفسك وأنت شاعـر الطلبـة . . هل تذكر شيئا ؟

قال وكأنه يمر على أشجار التاريخ فيقطف منها أغصانا

ـ مرض أمين الرافعى وأردنا أن ندعوه بعد الشفاء لنلتقى به فى أسيوط ولكنه مات فقررنا إقامة حفل لتأبينه وذهبنا إلى أساتذتنا نجمع منهم نقود لإقامة الحفل وكان منه شيخا شديد التقرب إلى الله ومن شدة ما كان يتقى ربه قال لنا :

ـ إذا كنتم تقرأون الجظاظيط فهذا حرام . . !

● ما هى الجظاظط ؟

قال وهو يضحك

ــ هى الجازيت أى الجريدة وجمعها جزازيت . .

وأضاف الرجل :

ــ إن فى هذه الخطاطيط غيبة وفيها تهريجاً وفيها إيذاء للمسلمين بما لا يقترفون فقراءتها حرام . .

فسألناه ماذا نفعل لتأبين الرافعى ؟

فقال : اشتروا عجلا واذبحوه ووزعوا لحمه على الفقراء يرحمكم الله ويرحم الشيخ أمين الرافعى . . ولم يستحسن الشباب الفكرة لأننا كنا نحب المناسبات التى يكثر فيها الشعر والنثر والمناظرات وقلت فى تأبين الرافعى وكانوا قد وضعوا صورة له فبدأت قصيدتى هكذا :

عزيز على من كان بالأمس مادحا
أمينا معافى أن يرى اليوم راثيا
ولكن متى كان العزيز على الورى
عزيزاً على الدهر الذى كان قاسيا
أمين ولم أعهدك من قبل صامتا
تنادى دون أن تجيب المناديا
قد كنت للشعب الأسيف أمانيا
فجندل عادى الموت تلك الأمانيا
وكانت بك الأيام غرا نواصعا
فلما تناءت . . . إستحالت حياتيا

***

وتشغلنى دائما قضية محو الأمية ولا أستطيع أن أواجه مسئولا بالثورة أو مسئولا بالفكر عن بلدى دون أن أستفزه نحو محو الأمية وكانت اهتماماته الأدبية كلها موجهة ناحية الشعر السياسى تقريبا فسألته :

● **هل بدأت نشاطك السياسى فى هذه الفترة ؟**

ــ لا . . كان كل نشاطى أدبيا فقط وكنا قد كونا جمعية الكتلة الأدبية ولو أننا كنا نلتحم دائما بالمناسبات .

وقفز سؤالى المتعطش دوما إلى إجابه تنفيذية . .

● **هل فكرتم فى محو الأمية ؟ . .**

وكانت إجابته شيئا لم أحسه ولم يشعر به جيل الشيخ كله . . كانت إجابته نحو محو الاستعمار :

ــ كنت أفكر دائما فى تلك الآونة فى كيف نقوم الشعب ونوجهه باسم الدين نحو محاربة الاستعمار .

● **هذا يعنى أن قضية التخلص من المستعمر كانت أهم من التخلص من الجهل !**

ــ نعم . . وعلى هذا كنا نحاول أن نعد فى كل مشروع نفعله أو شعر ندونه أن نتمرس فيه على إثارة العواطف ضد المستعمر .

● **وخلقتم الهواية الأدبية لتحريض الناس على كراهية الاستعمار . . هل كتبت القصيدة السياسية ؟**

ــ أنا لم أكتب شعرا كثيرا فى ذلك الوقت لأن السياسة لم تكن تؤمّن لنا فى الأتساع فى القول . . .

● **أين كانت تصل طموحاتك فى ذلك الحين ؟**

ــ كانت تصل طموحاتى للأزهر وخروج الانجليز وكان والدى رحمة الله عليه ركبه دين كثير نتيجة لغرق الأرض التى زرعها فى فيضان النيل .

● **إذن كانت لك عدة طموحات . . أدبية للوصول إلى الأزهر . . سياسة طرد الانجليز وطموحات مادية وهى تسديد ديون أبيك . .**

وكان كلما ذكر كلمة أبيه أحس بالحزن يغلف كلماته :

فقال : كان أعظم دعاء لى « اللهم اقض عن والدى دينه وفك كربه واستر عيبه » .

● **كيف كانت خطواتك لتحقيق هذه الطموحات ، وهى طموحات تحتاج لسن كبيرة . . ؟**

هدأ القول . . ويدأ يسترجع شجرته ليتأمل قطوفها الأولى منذ أكثر من

نصف قرن :

ــ جئنا إلى القاهرة عام ١٩٢٩ يتلقفنا الذين يريدون الاستعانة بالشباب على الجانب السياسى . . ونحن كنا مدركين تماما لكل ما يعترى مصر من هموم اجتماعية وسياسية . .

● بالنسبة لنجوم الأزهر من منهم تعلقت به طموحاتك سواء الأدبية أم السياسية ؟

قال وهو يعيش الكلام :

ــ الذى كنا نجلس ونتحدث معه ونتنفع به هو الشيخ دراز الذى عاد للأزهر بعد إبعاده للاشتراك فى ثورة ١٩ لأنه كان متمرداً على القصر ومحرضاً للوطنيين لذلك نقلوه هو والشيخ عبد الجليل عيسى والشيخ مصطفى الغاياتى وكانوا قد أبعدوا إلى طنطا والاسكندرية وانضمت الموجات من جديد وبدأت السياسة تأخذ شكلا آخر . . ينشط فى الساحة كذلك الأحرار ومصر الفتاة التى كان فيها أحمد حسين وفتحى رضوان .

● وما هى الاتجاهات السياسية الأخرى التى بدأت تستعين بالشباب ؟

ــ كانت هناك الأحزاب القائمة وكان حزب الوفد هو حزب الأمة بلا ريب . . الأحرار الدستوريون كانوا فى واقع الأمر طبقات أرفع من الوفديين . . الحزب الوطنى كان أيضا له اتجاه يتغالى فيه يكاد يلحق فى كل من ينتمون إليه . . واخترت أن أكون مع الإخوان المسلمين . .

ووقفت عند قوله هذا لنبدأ معه بداية التحاقه بالجماعة ومرشدها العام الشيخ حسن البنا والذى لاحظت طوال سبعة وعشرين عاما عرفت فيها الشيخ الباقورى كان حسن البنا هو درة فكره وحجة أقواله ومثار إعجاب دائم لا ينطفىء على لسان الشيخ . . وقال الشيخ وهو يحكى بدايته مع الأخوان المسلمين .

كنت ذات يوم أسير فى شارع محمد على مع مجموعة من الأصدقاء فقال لنا قائل منهم لعله من الأخوان المسلمين . . « هنا تلقى محاضرة فى عمارة الشماشرجى وفيها رجل يتحدث حديثا طيبا عن الإسلام فهيا بنا نستمع

إليه . . وسرنا معه إلى هناك وإذا بنا أمام رجل بهى الطلعة فصيح اللسان قادر على الاستشهاد بالقرآن قدرة عجيبة لم آلفها فى كثير من الشيوخ الذين رأيتهم . . واستمعت إليه وإذا هذا الرجل هو الأستاذ حسن البنا . .

وبعد أن جلست معه وجدت فيه خاصة من خصائصه العجيبة فإنه يكاد يلمح فى وجه الذين يريد أن ينتفع بهم خصائصهم النفسية فيبدأهم بالحديث . . وأذكر فى هذه الليلة أنه قال لى :

ـ ما الذى أفدته من حديثى ؟

فأجبته استفدت كلاما كثيرا . .

قال : أتستطيع أن تذكر كلمة عما استفدت ؟

قلت : إن الأرض تقاتل مع أهلها فى دخول بنى إسرائيل إلى بيت المقدس . .

قال : هذا دليل على أنك حاضر الذهن . .

ثم سألنى : لو كنت تريد أن تعمل شيئا لوطنك . . ماذا يكون ذلك الشىء . .

قلت له : أفكر فى أن تعلم . .

قال : هذا طريق طويل . . وستيأس وأنت فيه وحدك لأنك لن تجد ظهرا . . وعندما يسير المرء فى طريق طويل سيمله . . فلابد لكى تسير فى هذا الطريق إلى نهايته أن يكون لك زملاء . . هناك زملاء فى جماعة الأخوان المسلمين وغرضها طرد الأجانب من بلادنا وتربية الشعب تربية صحيحة . .

ووعدته بالعودة فى المرة الثانية وكنت فى ذلك الوقت أحب الشعر وألقى بالقصائد فأردت أن ألقى قصيدة أحيى فيها الشيخ حسن البنا وبدأت قصيدتى :

يابنات الهديل دعن العويلا   إن فيا مضى وفاء جميلا

وحينما وصلت إلى اسمه « حسن » رفض الرجل أن أكمل وحيئنذ أحسست عظمة الرجل واقتداءه بالرسول فى قوله عن الله تعالى « **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه** »

إلى آخر الآيات . . وكان رحمة الله عليه ورضوانه . . إذا التقى بجماعة قام وأطفأ النور قليلا واستغفر الله وصلى على رسوله الكريم ثم يبايعونه على أنهم يعملون لله ولصالح الأسلام والوطن وإنقاذه من براثن الأستعمار . .

قاطعت النهر المتدفق بالحماس :

إذن وجد مولانا طموحاته هنا فى مواجهة الأستعمار وتخليص البلاد منه . .

* * *

قال الشيخ الباقورى :

ـ نعم . . كانت جماعة الإخوان المسلمين تستقطب كل راغب فى الإصلاح وكل محب للقيم وكل محب للوطن بصدق أيضا . . وقد وضع المرشد العام للاخوان المسلمين الشيخ حسن البنا سندا للاصلاح فى أمور ثلاثة أولها تغيير العرف، . .

● **كيف كان ذلك ؟**

ـ يعنى مثلا كان يقول حسن البنا رحمه الله ورضى عنه إن « الموضة » إذا قدم للإنسان خمور ليشربها فإنه لا يقول هذا حرام بل يقول مثلا صحتى لا تساعدنى فنحن هنا نخطئ ويجب أن نقول بوضوح إن هذا حرام وإن ديننا لا يساعدنا ولا يسمح لنا أن نشرب الخمر . . سيداتنا مثلا يلبسن ملابس تكشف عن المفاتن وهذا عرف استقر بحيث لو وجدنا سيدة تستر نفسها تكون متخلفة . . تفسير العرف هنا أن يكون التخلف شرفا وأن يكون تعزيه المفاتن عيبا . .

أما الأمر الثانى فى سند الإصلاح فهو الطريق الدستورى وهو أن نعين الذين يصلحون لتمثيل الأمة دينا وخلقا وغيرة على أن يكونوا أعضاء فى مجلس النواب .

أما الأمر الثالث فهو طريق معروف وما كان يريد أن يصرح بكلمة (ثورة) لكنه يكنى عنها بكلمة الطريق الثالث معروف ـ والحدق يفهم ـ إذ كان لهم تشكيلات فى الجيش والبوليس يعدها ليوم يجىء ويتولى الثورة يظاهرها

تغيير العرف والطريق الدستورى ولذلك فإن كـل الأخوان المسلمـين الذين تعاونوا مع ثورة يوليو عند قيامها لم يخرجوا عن الأخوان . .

وأردت أن أستزيده عن شخصية المرشد العام للأخوان المسلمين فطرحت هذا السؤال :

هل أحسست بعبقرية ما فى شخصية الرجل . . ولم تكن لغيره ؟

وقال وكأنه يقرأ الفاتحة وببساطة شديدة :

ـ نعم . . وكانت هذه العبقرية مردها أولا أنه كان كلما أردنا أن نسهر كنا نلتقى فى أى مسجد من المساجد وكان يظل يصلى ويقرأ القرآن ثم يشرح الآيات بشكل بسيط سلس وكان دائما يستشهد بآيات من القرآن الكـريم وكان من إقـدر الذين حفظوا القرآن واستشهدوا به فى كل موطن يمكن أن يكون محتملا للاستشهاد كان لايكاد يسقط منه حرف . . كان كذلك يؤاخى بين هذا وهذا ويحاول أن يلتزم فى هذا بالرسول عندما آخى بين المسلمين والأنصار . وكان حسن البنا لا يزامله أحد إلا ويراه يقرأ القرآن سواء مستقرا أم مسافرا وأحب ما تستطيعين أن تستمعى إليه قارئا . . لا أعلم إنسانا يؤثر على المؤتمين به فى صلاة يتأثرون بمثل قـراءة الشيخ حسن البنا .

كانت عبقرية الرجل أيضا ترتكز على جماهيريته وإصراره على النزول إلى الناس فى أقصى الصعيد وفى شمال الدلتا غير هياب بحر أو برد سواء ركب دواباً أو سار على قدميه . .

* * *

● أين كنتم تقضون الصيف ؟

وجاءت الإجابة متوافقة تماما مع ما تصورت حال جهادهم فقد قال الشيخ وهو يزيح العمامة وكأنه يستوحيها الذكريات .

ـ كنا نرحـل إلى أسوان . . وفى بلد اسمـه « دراو » وبها أسـرة عظيمـة من الأشراف وكان فى شرقها جبل كنا نرقى إليه ونسهر فى الجبل نقرأ القرآن ويفسر لنا الشيخ حسن البنا الآيات ونصلى ثم ننام قليلا ونقوم لصلاة الفجر . .

وهكذا انعقدت بيننا وبين أهل « دراو » أخوة ومودة كنا نزورهم وكانوا يزوروننا ولا يزال لنا أصدقاء فى أسوان وهم من أكبر الناس وأقدرهم على البر فيما يعودون بمناصرة الإسلام واحترام المسلمين . .

وأردت أركز على الشباب فى سؤالى :

● **أعلم أن لشباب المسلمين أهمية خاصة فى تكوين الجماعة . . كيف كان يوجه المرشد العام شباب الأخوان ؟**

قال وكأنه يعلن دستورا يؤمن به :

ـ كان يوصيهم أولا وقبل كل شىء بالمودة بين بعضهم وبعض . . وكان فى وصاياه لهم أن يعملوا على الاعتزاز بالقرآن الكريم وحفظه وتمثل نعمة الله عليهم فى الانتقال من طور الجاهلية الذى كانوا فيه إلى طور الدعوة التى يريدون بها إصلاح المجتمع .

وكان فى بعضهم نزعات غريبة حقيقية أذكر منهم أخا كريما اسمه أحمد رفعت وكان طالبا فى كلية التجارة فى ذلك الوقت لقد كان يمشى على قدميه مسافات طويلة ولا يركب الترام سواء ذاهبا أم عائدا ولما سألوه لم يفعل ذلك فقال :

ـ لأن هذه شركة غير مصرية فنحن لا يجب أن نعين الشركات الأجنبية لأنها تأخذ أموالنا وترد أموالنا فى تربص بنا وتآمر علينا . وكانوا إذا أراد أحدهم أن يتقشف أكثر نام على الأرض ويطلبون تمرين أنفسهم على أن يخشوشنوا إيمانا بحكمة يذكرونها وهى . . . إخشوشنوا فإن النعمة لاتدون . وكان شباب الاخوان يذهبون إلى فلسطين ليقاوموا التآمر على بيت المقدس أحد القبلتين واستشهد منهم شباب هناك .

* * *

وهكذا استطعت بأسئلتى واستطاع هو بإجاباته . . استطاع كلانا أن يرسم صورة ما قبل الثورة للشاب الأزهرى أحمد حسن الباقورى . . استطعنا أن نعرف روافده وطموحاته وتطلعاته للمستقبل واستطعنا أن نرى رياح الثورة تحوم حوله . . وهنا نحن معه فى ثورته الأولى . . ثورة الأزهر . .

● **كيف بدأت ثورة الأزهر ؟**

قال وكأنه فلاح عنى بالزرع وأرهق فيه وآن أوان الحصاد . .

- بدأت ثورة الأزهر حينما غضب الملك فؤاد على الأستاذ الشيخ المراغى وكلفه بأن يستقيل فاستقال . . والشيخ المراغى كان يأخذ طريقته عن الإمام محمد عبده والإمام محمد عبده كان الفرق بينه وبين جمال الدين الأفغانى كالفرق بين الطبيعة الجبلية فى أفغانستان والطبيعة السهلية فى وادى النيل . . هناك الغلظة والخشونة وهنا السماحة والبساطة ذلك هو الفرق بينهما . .

وكان الشيخ المراغى يأخذ عن الشيخ محمد عبده تلك السماحة والبساطة . . الشيخ محمد عبده قتله القصر والشيخ المراغى يريد القصر أن يحرجه وتابعه بالمتاعب الكثيرة وأولها رفض القصر للاصلاح الذى جاء به الشيخ المراغى وعندما كنا فى أسيوط ألفنا جمعية اسمها « جمعية إصلاح الأزهر » .

قاطعته لأؤكد التاريخ :

- **إذن بدأت ثورة الأزهر فى أسيوط . . بذورها كانت هناك ؟**

- نعم وكان ذلك عام ١٩٢٧ وكان معنا هناك أستاذنا الشيخ عبد اللطيف دراز وكانت له توجيهات أيضا فى ذلك الحين . .

وحينما قبلت استقالة الشيخ المراغى التف كل الذين كانوا يريدون اصلاح الأزهر حول الشيخ المراغى وكان منهم الشيخ عبد الجليل عيسى ، الشيخ محمود شلتوت ، الشيخ حامد محيسن ، والشيخ العدوى والشيخ عبد اللطيف دراز والشيخ الزنكلونى على رأس هؤلاء جميعا ، وبدأت تكتلات ضد الأبراشى باشا وشيخ الأزهر الجديد أحمد الظواهرى رضى الله عنه وكان رجلا تقيا صالحا . . هنا بدأت ثورة الأزهر وبدأ كذلك الشيخ الظواهرى عهده بملاحظة البعد النسبى بين العلماء والأزهر عن السياسة هنا أصدرت الجمعية الحرة التى كان على رأسها الشيخ الزنكلونى ومن أعضائها الشيخ دراز والشيخ حامد محيسن « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** » .

كان صدقى باشا فى ذلك الوقت هو أولى الأمر فقال الآخرون الذين فى المعسكر الآخر إنكم لا تنتفعون بالقرآن إن الله تعالى يقول « **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** » فالاقتصار بالأمر بطاعة الله وطاعة الرسول وأولى الأمر تشويه للآية مثال **لا تقربوا الصلاة** ولا يكمل الآية ، **وأنتم سكارى** » بدأوا من هنا ثورتهم . . الشيخ الظواهرى رحمه الله أحب أن يبتعد بالأزهر عن هذه

التيارات . . أما نحن الطلبة فقد قمنا ندعو للاضراب وبدأ النحاس باشا رحمه الله عليه يحرض على الاضراب لأن هذا كان من مصلحته ليستعين بنا على صدقى باشا وجمعنا جميعا عنده .

فى ذلك الوقت أحيا محمد محمود باشا قانونا قديما كان قد اتخذ من قبل وفيه أن من حرض على الاضراب يحاكم فحوكمنا أولا ثم فصلتنا الادارة مع العلماء الذين فصلوا وقد فصلهم الشيخ الظواهرى بإشارة من الملك .

وقمنا بهذه الحركة ضد القصر فى الحقيقة لتدخله فى شئون الأزهر وهنا أخطأ الشيخ الظواهرى خطأ ما كان يجب أن يقع فيه ولكن الله أراد . . ذلك أن الشيخ الظواهرى حدد الدخول فى الكليات الأزهرية أى بدأ يعمل بنظام ـ الشيخ المراغى خارج الحلبة ونحن نريد عودته وكان هذا شعارنا ولما كنت زعيم الطلاب وخطيبهم وشاعرهم فى ذلك الوقت فبدأنا ننظم خطبا تلقى فى الأزهر وبدأ الناس يتوافدون على الأزهر الشريف ويجيئون إلينا ويستمعون لنا وبدأنا نحدد أيام الخطب ونحدد أيام الاضراب . . وجاء الوقت الذى عم فيه الاضراب وأصبح لا يوجد معهد واحد مفتوح لطلابه لا فى القاهرة ولا فى الأقاليم ووجدتنى أردد وكأننى أسير مع الثوار :

ـ كله إضراب . . النار اشتعلت . . !

وأكمل الشيخ والحماس يضىء الكلمات :

ـ النار اشتعلت . . ودعانا النحاس باشا لمقابلته وكان رحمه الله رجلا طيبا وفيه بساطة . . وخطب فينا لنعود للدراسة لأن الأمور استفحلت ولابد أن ننتظم ثانيا فى دراستنا . . وقال عليكم بالعودة إلى الدراسة يا طلاب الأزهر . .ثم أومأ إلى وقال :

ـ إنت . . إنت إسمك إيه . . إنت الولد اللى إسمه الباقورى ؟

ثم أضاف رحمه الله . .

ـ أنت عامل زعيم ؟

قلت : لا أنا مش زعيم ولا حاجة . . أنا أخطب فيهم فقط !

قال : تحتكموا لمن إذن ؟

قلت : نحن غير متعنتين !

قال : أنا أرجو الأ تحرجوا الحكومة الصديقة ـ يقصد حكومة نسيم باشا ـ أنا أقول لكم نصيحة وأنتم تقرروا العودة للدراسة أم لا . قلنا يا رفعة الـزعيم ابق

النصيحة حتى نمهد لها عند الطلاب حتى إذا أمرت بالنصيحة حفظناها وإذا وجدت الجو المناسب تقبلها الطلاب وعادوا لدروسهم وبهذا تكون فيها كرامة للزعامة . .

قال :

ـ إنتم حتلعبوا بى ؟

قلنا :

ـ لا . .

قال :

ـ هاتوا الولد زعلوك زعيم شباب الوفد . . وقولوا له قلدوا شباب الأزهر هذا هو الشباب فعلا . .

* * *

وأثناء المناقشة دخل الدكتور طه حسين فقال النحاس باشا :

هل ترتضون الدكتور طه حسين حكما بيننا ؟

قلنا : طبعا نرتضى . .

فقال له : ما رأيك يا دكتور أنا أقول لهم نصيحة لكيلا يحرجوا الحكومة الصديقة ويعودوا بعدها للدراسة .

فقال نأخذ هدنة حتى نمهد للطلبة ، حتى إذا ما قلت النصيحة التزموا بها .

فقال طه حسين رحمه الله وكان رجلا له أدب :

ـ والله ياباشا هؤلاء أدهشونا بحركتهم هذه الترابطة . . كل السائل التى تفرق عملت فيهم ولم يهن لهم عزم معها وأنا شخصيا معجب بهم وما كنت أظن أن يأتى يوم يفعل الأزهر هذه الثورة .

قال النحاس باشا :

ـ ما رأيك فى اقتراحهم من اقتراحى ؟

قال طه حسين :

ـ أنا لا أوافق يا باشا على قول هؤلاء الأولاد لنصيحة الزعيم كونى فى الأدراج لتكون فى الأدراج إذا قال الزعيم وجب عليهم أن يسمعوا وإلا لم يكن زعيماً ويكونوا

هم متمردين على الزعامة . وعلى ذلك قال النحاس باشا :

أين مأمون بيه الريدى ؟ . . أنا سأقول خطبة وتنشر فى الكوكب - يقصد جريدة كوكب الشرق - على ثلاثة أعمدة أنتم يا طلاب الأزهر لا تحرجوا الحكومة الصديقة وأن تعودوا إلى الدراسة وأن تنقلوا هذا إلى إخوانكم فى الأقاليم حتى نكون راضين عنكم وعن سلوككم وتصرفاتكم وإلا كنتم للحركة الوطنية ولمصلحة مصر وعودة الدستور أعداء ولا يجب أن تكونوا هكذا . .

وعدنا وعاد الشيخ المراغى .

ولم أحاول أن أقاطعه لأنه يروى تاريخاً لأول ثورة قام بها مع زملائه وعليه تكون مهمة روايتها للأجيال . .

فاسترسل يقول :

والغريب أن الشيخ المراغى كان يعتبر متسامحاً فى الدين بالقياس إلى الشيخ الظواهرى الذى كان يعتبر من المتشددين فى الدين ومن ألطف الطرائف التى حدثت فى ذلك الحين أن الشيخ الجبيلى رحمه الله أخبرنى أنه حدثت قصة طريفة أثناء وجوده وكيلا لشئون مجلس الوزراء فقد جاء تليفون من أحد المسئولين فى القصر يقول له :

- يا شيخ جبيلى مولانا يريد أن يكون شيخ الأزهر أرثوذوكسى .

فقال الشيخ الجبيلى :

- كيف؟!!

فأكمل المتحدث :

- لكن بروتستانت لا . . « ويقصد بارثوذوكسى أى متساهل» . . ويقصد هنا الأرثوذوكسى الشيخ الظواهرى والبروتستانت الشيخ المراغى .

وبمجرد أن حكى الشيخ الجبيلى هذه القصة انتشرت إشاعة فى البلد أن الملك سيهدم الأزهر وسيجعل شيخه مسيحيا ولم يفهم الناس النكتة !

* * *

وخطأ الشيخ الظواهرى يرجع لإنشائه كلية للشريعة وأصول الدين ولكنه لم يبح الدخول لهذه الكلية إلا لفريق معين هم الذين يحصلون على نسبة معينة من المجموع والباقى لا يدخلون .

هنا أصبح خريج الأزهر الذى ينال الثانوية بدرجة أقل لا يدخل هذه الكلية فأين يذهب هؤلاء ؟

هنا انتهز الفرصة الذين يلعبون بالسياسة وقالوا إن الجامعة الأمريكية تريد أن تفتح فصلا تأخذ فيه الذين لا يدخلون الكليات الأزهرية .

لم أستطع أن أمنع هذه العبارة :

ـ هذه لعبة استعمارية واضحة !

ـ طبعاً . . وهنا ثارت الدنيا وخرج الناس جميعاً يهتفون بسقوط الحكم وأنا ذهبت إلى مكتب زهير صبرى مع المرحوم عبد الحميد الكريمى بوصفه رئيس حركة طلاب الأزهر وسألته .

● **ما رأيكم القانونى فى مظاهرة تخرج وهى تهتف :**

« تسقط حاشية الملك ويحيا جلالة الملك »

هل يعاقبنا القانون ؟

وكان معه ثلاثة من المحامين فضحك وقال لى :

ـ تعالى يا ولد . . إنت اتعلمت فين . . فى مدرسة إيه ؟

قلت وأنا أضحك :

ـ فى الكتاب بتشديد التاء . . .

قال :

ـ لا . . إنت جاى تستفتى فى مسألة قانونية لا يعرفها إلا عبد العزيز فهمى باشا . .

بتقول تهتف بسقوط الملك وفى نفس الوقت تهتف يحيا الملك ! . . أن تسقط حاشية الملك . . معناها يسقط الملك . . فاهم يا ولد ؟

قلت :

ـ أيوه فاهم .

وكان الاضراب قد انتهى وجاء المراغى كما قلت . .

وجاءوا إلينا فى سجن الاستئناف واخرجونا الساعة التاسعة صباحاً واجتمع

مجلس الأزهر الأعلى وأعاد المفصولين إلى وظائفهم التى كانوا عليها . . . عاد شلال الثوار يهدد من جديد . . . عاد الشيخ عبد اللطيف دراز والشيخ شلتوت والشيخ الزنكلونى وغيرهم . .

الحوار الثالث



الثائر فى بوتقة السياسة

الثائر فى بوتقة السياسة

فتح الشيخ أحمد حسن الباقورى صفحات ذكرياته . . ورحلة عمره . . من قريته فى أسيوط إلى رحاب الأزهر . . رحلة ثائر تحت العمامة . . مزيج بين الفكر والسياسة والدين . . والرجل فى ذكرياته يروى قطوف حياته من الجذور . . وبكل ما تحوى من المواقف الانسانية والثورية . . والروحية .

ونواصل ذكريات الباقورى التى يروى فيها جذور علاقته مع الأخوان المسلمين والمناخ السياسى والفكرى الذى كان سائرا فى تلك الفترة من تاريخ مصر . . والباقورى حين يتكلم فإنه يؤرخ لحقبة عاشها ثائرا ومفكرا وعالما دينيا . .

القدمان الصغيرتان تحملان الشيخ الصغير المعمم من القرية فى بطن أسيوط حيث باقور تعيش بداوتها . . ويمشى الشيخ أحمد إلى أسيوط حيث البندر ويحمل فى قلبه أملا فى التغيير . . ثورة حتى يعيش مجتمعا نظيفا فيه الرعاية الدائمة . . كان أبوه قد عنى ببنائه فى القرية فأسلمه لكتاب الشيخ عامر وفى أسيوط كان أول ما بدأ به معهد أسيوط الدينى . . وتستمر طموحات الصغير يحملها بنفسه . . يهوى الأدب فيقرأ العربى ثم المترجم . . يقرض الشعر . . يتبارى مع أساتذته . . يحج إلى القاهرة ومعه ثورته ويلتحم بثورة الأزهر من أجل الأصلاح .

ويلتقى بالشيخ حسن البنا فيختار الأخوان المسلمين جماعة ينضم إليها ليحقق أحلامه وأحلام مصر . . يعيش فى البوتقة التى تغلى دائما . . ويجرب الحج إلى السجون ثم يخرج يوم انتصار ثوار الأزهر . . وفى رمضان . . وكان سؤال لكل الضائمين والقائمين الركع السجود . . وعن الدين عند الباقورى .

وعيون الكتب تطل علينا والشيخ جالس فى مكانه المعتاد بين خاصة أحبائه الكتب وألقيت إليه سؤالا بسيطاً ولكن جعل الله لنا فيه من الفائدة ما نرجوه ومن الفهم ما نتمناه .

● سؤالى بسيط ياسيدى ولكنه سؤال أزلى لكل من تمتع بالغوص فى أعماق دينه مثلك . . ما هو الناتج ياسيدى لديك لحكمة الصوم بالممارسة منذ الطفولة حتى الآن ؟ .

قال بأسلوبه السهل الممتنع :

ـــ اكتسبت من صومى ما قرره المالكية فى كتبهم . . أنه لا يسوغ لولى أمر طفل أن يصوم رمضان وهو لما يبلغ سن التكليف .

يقول لنا أهل المذاهب أن الطفل إذا صام أحب أن يظهر بوجهين . . يظهر أمام أبويه أنه صائم ولكنه ينتهز الفرصة بينه وبين نفسه فيشرب إذا اشتدت به الحاجة إلى الماء ومن هنا قالوا يكره لولى أمر طفل أن يدعه يصوم لأنه كأنه يعينه على أن ينشأ منافقاً ذا وجهين فيكره الطفل أن يصوم وبما أن الطفل غير مكلف فإن هذه الكراهية تتجه لأولياء أمره فعليهم أن يراقبوه وأن يقنعوه بكل وسيلة حتى لا يصوم وفرق بين الصلاة وبين الصيام إن الصلاة يؤمر بها لسبع ويضرب عليها لعشر أما الصيام فإنه يكره له قبل أن يكلفه أن يصوم . . الفرق بينهما أن الصيام شهوة أما الصلاة فإنها

رياضة فمن حق الطفل على أبويه أن يروضاه على تربية أعضائه وتقوية جسمه لكن فى نفس الوقت من حق الطفل على أبويه أن يجنباه كل موطن يظنان به فيه أن ينشأ ذا وجهين وعلى ذلك هناك فرق بين الصلاة والصيام فإذا كان مكروها للطفل أن يصوم وهو صغير فإنه ليس مكروها ــ أن يصلى وهو صغير وذلك هو قضاء الله .

الصوم والصوفية

وأردت أن أتزيد بالتخصيص أكثر للصوم فسألته :

● ما هو موقع الصيام من المتصوف . . أو كيف يوصل الصيام إلى الصفاء ؟

فقال مستمتعاً ممتعاً بما يقول :

ــ الانسان جسم وروح . . . غذاء الجسم الطعام والشراب وما إليه ، وغذاء الروح ضبط النفس ، وتقوية الإرادة تكون كل الفضائل الإنسانية وعن طريق ضعف الإرادة تتشاكل الرذائل ، فأدنى الناس إلى الفضيلة أقدرهم على أن يكون سيد نفسه . وأقربهم إلى الرذيلة أن يكون الإنسان عبداً لنفسه

* * *

ويسترسل الشيخ فى شرح فلسفته ويملأ الحجرة جو الاستماع العميق :

والتصوف ليس ديناً ولكنه منطقة شعور يكون الإنسان فيها أرق حسا منه إذا كان رجلا بطيناً يملأ بطنه بالطعام والشراب . إن الألم هو الذى يحدث دقة الحس . والشبع هو الذى يحدث البلادة فى الجسم ومن هنا كان أسلافنا المتصوفة دائماً حراصا على الجوع لأن الجوع هو سيد وسائل الترقية الحسية للإنسان وما كان أسلافنا ليدعوا الطعام والشراب يصرفهم عن عبادة الله تبارك وتعالى وكانوا يقولون إن الإنسان إذا كثر طعامه كثر نومه ويكثر كسله عن أداء حقوق الله من الصلاة وما إليه . فهذا هو الذى أستطيع أن أقرره فى هذا الموقف بما علمت من أسلافنا وبما رأيت فى نفسى من تجربة أن الجوع هو سيد المعانى التى تدنى الإنسان من حياة حسية رقيقة يصبح معها الإنسان حساسا يستطيع أن يدرك حاجات الناس وأن يتألم للفقير والمسكين والمحتاج . ومن هنا تجىء الحكمة من الصيام لا تعدو هذا المعنى ولذلك حين قال الله تبارك وتعالى فى آيات الصيام أن الله كتبه كما كتبه على أصحاب الديانات السابقة ختم هذه الآيات بحكمة الصيام « لعلكم تتقون » ومعلوم على اليقين أن التقوى كما عرفها

أسلافنا ألا يراك الله حيث نهاك وألا يفتقدك الله حيث أمرك فالله تعالى إذا لم يرك حيث نهاك وإذا راك حيث أمرك فهذه هى التقوى . وإذا كان لك قوة الأرادة أمام شهواتك فالقدرة على حكم النفس تدعو إلى الفضائل ومن هنا قال رسول الله ﷺ . . « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » .

● لا يجد الأنسان من قول يعبر به عن الإعحاب بأسلوبك فى وصف الطريق إلى التقوى . . زدنا بأجمل ما قيل فى الصوم .

قال وهو يضع يده على كتاب الله أمامه وبعض كتب الحديث الشريف :

ـــ أنا لن أجد إطلاقاً إلا كتاب الله تبارك وتعالى فى هذه الآية « يأأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . . صدق الله العظيم . . ليس يعرف الناس وراء هاتين الكلمتين حكمة أوضح من هذا الإيجاز الدقيق المستوعب . فحكمة الصيام كلها تنظمها هاتان الكلمتان لعلكم تتقون ـــ بعض الناس يقول إن لصيام يشعر الغنى بقسوة الجوع فذلك يدفعه إلى العطف على الفقير فيبذل للفقير من ماله ما يمنعه مرارة الجوع وهذا قول مبلغ العلم أنه غير خليق بالاعتناق ذلك أنه إذا كانت حكمة الصوم أن يجد الغنى قسوة الجوع فيعطف على الفقير فما هى الحكمة بالنسبة لصوم الفقير إذن ؟ مع أنه مكلف بالصيام ؟

وهذا التفكير إلى جانب ذلك فيه ارستقراطية الطبقات وهذا لا يليق وإنما الحكمة الجامعة والتى تنظم الغنى والفقير على سواء هو أن الصيام يلد التقوى .

التقوى عند الغنى تبعث على إسعاد المجتمع الذى يعيش فيه والتقوى عند الفقير تبعث الفقير على السلوك الذى يسعد به المجتمع وكلما كانت العلة أشمل وكلما انتظمت الغنى والفقير والمأمور والأمير كانت أحق بالاقتناع به عما يقول الآخرون من العطف على الفقراء وما إلى ذلك فهذا هو ما قاله الله وليس وراء ما قاله الله مقالة لقائل

وأردت ألا ينقطع رى النفوس بكلام الشيخ عن الدين وهو خير من يقول لك فى يسر ما أمرك الله به وإذا كانت هناك عقول جيدة التوصيل للمعرفة الدينية فلا أحق بهذا القول من شيخنا . .

● كيف تستطيع ياسيدى أن توصل جوهر الإسلام بيسر إلى الناس من خلالك ؟

قال الشيخ الباقورى :

ـ كل قول ليس له سند من كتـاب الله أو من قول رسـول الله أو من سلفه الصالح يجب أن يضرب به عرض الحائط لأنه قول لا سند له ولهذا كان الحق الذى لا حق وراءه ولا حق خير منه أن نتلمس دائما ما يمكن أن يكون له سند فى الاسلام سواء فى كتاب الله أم فى سنة رسول الله أو فى سلوك أصحاب رسول الله وهم صورة مكررة منه . جاء رسول الله رحمة للعالمين فبدأ دعوته أول ما بدأها إلى الحرية التى تعنى أنه لا يليق بالانسان الذى كرمه ربه أن يكون عبداً إلا لله وحده لا شـريك له . . . ولهذا جعل الإسلام أول أبواب الدخول إلى الإسلام الكلمـة المغرقـة فى الدلالة على الحرية وهى لا إله إلا الله ومعنى لا إله إلا الله ، أنه ليس هناك موجود فى هذا الوجود يخضع المرء له ويذل بين يديه ويلجأ إليه فى شدائده إلا الله رب العالمين وهذا القدر من الحرية هو قدر بلا ريب أقصى ما تبلغه حرية الأحرار . ولعل من خير صيغ الدعاء الذى كان يدعو به أسلافنا رحمة الله عليهم أجمعين « اللهم إنى أعوذ بك من الذل إلا لك وأعوذ بك من الأفتقار إلا إليك » . . ولا ريب أن الذى يتدبر هاتين الجملتين لابد أن يرى أن الذل لله عزة لا عزة وراءها وأن الإفتقار إلى الله غنى لا غنى بعده . . وهذه هى الحقيقة الأولى . .

والحقيقة الثانية أن الله الذى خلق ورزق هو أغنى الأغنياء عن الذل له والإفتقار إليه والخضوع بين يديه وكل ما يكلفنا الله إذن أن يعطف بعضنا على بعض والتكافل فى المجتمع الاسلامى لا يعرف الناس له صورة أخرى فى دنيا الناس ومن شاء أن ينظر فلينظر كيف كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول :

« والله لو عثرت بغلة فى العراق لرأيتنى مسئولا عنها بين يدى الله لم لم أسّوها الطريق » .

فى هذا يكون التكافل ليس تكافلا للإنسان بل التكافل الذى يشمل الرحمة فيه الحيوان نفسه . . سيدنا الشيخ أحمد ابراهيم رئيس قسم الشريعة فى جامعة فؤاد الأول قبل أن تصبح جامعة القاهرة ــ يقول فى كتابه النفقات :

« لو لجأت قطة عمياء إلى دار مسلم فليس له أن يطردها وعليه أن يقيتها حتى تسترد قدرتها على التماس الرزق » .

هذه صورة لا يعرف الناس لها مثيلا فى أى تشريع آخر غير الشريعة الاسلامية وقائلها رجل ثقة فى علمه وثقة فى دينه وثقة فى تفكيره . إذا رأى الأنسان مجتمعا

متكاملا على هذه الصورة التى يرحم الإنسان فيها الحيوان فماذا يريد وراء ذلك . . ترى هذا هو كل ما أمر الله به عباده من ضبط أنفسهم وسياسة هذه الأنفس على نحو يرضى المجتمع ويشيع السكينة فيه فإن ذلك خير من حق المجتمع علينا أن ننميه إلى جانب هذا أمر الله تعالى عباده ألا ييأسوا من فضله وذكرهم دائماً أن الخطيئة فى طبيعة الإنسان حتى أنه ليذكر فى هذا الباب رسول الله فيقول « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بآخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » إلى جانب هذا الحديث حديث آخر فى نفس المعنى يقول فيه رسول الله « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من الذنب » قالوا ما أشد من الذنب يارسول الله ؟ قال « العجب بالنفس » . .

قد تكون هفوة الإنسان التى هفاها طريقا إلى الخير . . فالذين يريـدون لأى إنسان فى المجتمع أن يكون إنسانا مجردا من الخطايا فإنما يريدون لهذا الإنسان أن يكون ملكا والله تعالى خلق ثلاثة أصناف : صنفا هو الملائكة وصنفا آخر هو الحيوان وخلق صنفا ثالثا هو الإنسان وجعل الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فهم مسخرون بالقوة الإلهية الروحانية للعكوف على عبـادة الله ، وجعل الحيوان خاضع لشهواته لأن شهوته هى التى تحميه وتقويه وتعينه على التصرف وجعل الإنسان سيد هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه فإذا ما قهرت روحه غرائزة وإيمـانه شهواته التحق بعالم الملائكة وإذا انقهرت روحانياته أمام شهواته التحق بعالم الحيوان وعلى ذلك وضع الله مقياساً وسطاً . . « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » صدق الله العظيم . ذلك قول الله فجاء رسول الله وهو المبين عن الله يحدد هذه الحقيقة فيقول « إياكم والتغالى فى الدين إن أحدكم إذا تغالى انقطع عن المجتمع الذى يعيش فيه » ثم ضرب مثلا فقال :

إذا اجتمع ناس فى موقع وركبوا رواحلهم نوقا أو خيلا أو جمالا وحرص أحدهم على أن يسبق وجهد شديدا وأجهد دابته كذلك فما الذى يحدث ؟ الذى يحدث أن الدابة سوف يهلكها العطش ستنفق من التعب والجهد فى الوقت نفسه لا يبلغ غايته أو لا يصل . . وإما أن يصل متأخرا وهذا هو الحديث النبوى الشريف الذى وصف فيه من أوتى جوامع الكلم قال صلوات الله عليه « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت الذى ينقطع عن الركب ــ أى الناس ــ بدابته لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » وهذا جل ما يمكن أن يصل به مصور بالقول . . هذه الحقيقة التى بينها رسول الله فى هذا الحديث الشريف . حديث لرسول الله ويرويه صاحب جامع الفضول

من حديث الرسول « إذا سمعت النداء والأناء على يدك فلا تضعه قبل أن تبلغ منه حاجتك » وهو حديث صحيح معناه أن الإنسان إذا وضع كوب ماء ليشربه ثم سمع أذان الفجر فليحذر بتحذير رسول الله أن يضع هذا الكوب قبل أن يشربه ولكنه والحكمة هنا ظاهرة رغم أن الرسول صلوات الله عليه وسلامه لم يذكرها ولكن نحن نستطيع أن نتدرج أنفسنا لنبلغ شيئا من الحكمة . ولنحسن الظن بعقولنا لندرك الحكمة الظاهرة فالذى يضع الإناء ونفسه فى الماء سينام عطشانا ويحلم بالماء فيقوم فى الصباح ويشتهى الماء ويتمثل كوب الماء وقد كان على يده ويأسف ويقول « ليتنى شربت قبل أن أسمع النداء . . هذه الخواطر لا ريب فى أنها إن لم تفسد الصوم فإنها سوف تنال شيئا من قوة الروحانية التى يبعثها الصوم فى نفس المسلم .

* * *

وتدفق الشيخ وما كنت لأوقف التدفق حتى نرتوى من شرح السهل الممتنع فاسترسل قائلا :

ـ وبهذا المعنى ينبغى أن نتناول دائما كل كلمة قالها رسول الله ففى كل كلمة قالها حكمة من حقه علينا أن ننظر فيها وأن نلتمس ما وراءها لنزداد ثقة بها والرسول موثوق به ولكن فرق بين الثقة نتيجة التجربة والثقة نتيجة الحب فنحن نريد أن نجمع إلى الثقة برسول الله عن الحب ثقة أخرى تنشأ عن التجربة فى البحث عن حكمة التشريع فى كل أمر يأمر به وينهى عنه وخير يرشد إليه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . .

كانت عبقرية القرآن دائما فى لغته بالإضافة إلى ما فى مضمونه من شريعة وفقه وما إلى ذلك وحينما نزل القرآن على محمد كان شعراء العرب قد بلغوا مبلغا عظيما فى إختيار اللفظ ونظم الكلمات ولكن القرآن كان مثار إدهاش للكفار قبل الذين أسلموا . . وظلت معجزات القرآن تعيش حروفا من نور داخل القرآن الكريم وبين ثنايا آياته ولعل أكثرها إدهاشا للعقل سورة الإسراء . ولكن للشيخ الباقورى منذ فجر شبابه أسلوبا فى التوصيل اشتهر به بين إخوانه وبين ناسه . . كان يقول القصيد شارحا معجزات لقرآن ومن أجمل ما قال الشيخ الباقورى قصيدته التى يشرح فيها سهولة معجزة الإسراء والمعراج .

* * *

● أعلم أن لك قصيدة تشرح فيها معجزة الإسراء والمعراج . . متى قلتها وأين ؟

وقال الشيخ الباقورى :

ــ كان هناك إحتفال بليلة الإسراء والمعراج فى مكان اجتماع الأخوان المسلمين فى حارة عبد الله بك فى المغربلين وفى حارة الوالى حسين فى سوق السلاح ومكان آخر فى درب الشماشرجى وكلها أماكن حول القلعة وهناك كان الشعراء والخطباء يتبارون فى إلقاء الخطب وقصائد الشعر بهذه المناسبة الجليلة وكنت حينما أحضر أستمع جيدا وأتكلم جيدا أيضا وأحاول أن أقرب بين الدنيا والدين وأشرح الدين بالدنيا فقلت هذه القصيدة وأنا أشير إلى الفونوغراف الموجود بالمكان :

هذا الحديد يغنى صادحا غردا
لا يخطىء اللحن ما حاكى المغنينا
كأنه بين آهات يرددها
صب يبثك ما يشجيه تلحينا
سل عصبة إن النبى سرى
وأم بالمسجد الأقصى النبيينا
أينطقون حديدا لا حياة به
فيملأ الأفق إفصاحا وتبينا
ويستقلون فوق السحب طائرة
تسابق الريح جريا فى موانينا
ويصبحون ومصر عش طائرهم
ويظهرون بروما أو بآثينا
ويعجز الله أن يسرى محمده
فى لمحة الطرف ما أغبى المارينا

وكنت فى هذا الوقت طالبا فى قسم التخصص فى جامعة الأزهر .

* * *

وأمسكت خيطا هاما وقلت للشيخ :

● ماذا كان رجع الصدى فى الموجودين لهذه القصيدة وكلهم من الذين يجاهدون فى سبيل الله ويدعون للاصلاح ؟

قال الشيخ الباقورى :

ـ لديك كل الحق فى هذا السؤال فإننى بعد أن قلت هذه القصيدة قام رجل من الموجودين ونثرها نثرا وكان هذا الرجل هو الشيخ عبد الآخر أبو زيد وكان رجلا طيبا ذكيا متأملا فيما حوله ، فسألنى بعد ذلك عن نفسى فقلت له إننى طالب أزهرى فقال : وهل يرضيك ما نرى من منكرات فى هذا البلد ؟ سواء فى الحياة الإجتماعية والحياة السياسية الحزبية . .

قلت : لا

قال : ماذا تريد أن تفعل ؟

قلت : والله ياسيدى أنا متحير لست أعرف شيئا . .

فقال لى : أفترى أن نتعاون وأن يلتقى أحدنا بالآخر كلما كان عندك وقت تعال إلى إما أن نتكلم وإما نستمع ونحن لا نريد أن نزج بأنفسنا فى السياسة فإن أعداءنا كثيرون فى الشرق والغرب ، فى ذلك الوقت كانت تتبادل عقول الشباب المصرى دعوتان دعوة هتلرية نازية ودعوة أخرى مركسية من جانب آخر وكلاهما سينحت نحتا فى شبابنا . فى هذه الأثناء كنا نلتقى كثيرا مع الأستاذ المرشد العام الشيخ حسن البنا وكنا ندعو الناس إما سرا إلى الالتحاق بالدعوة والبيعة وإما جهرا بالدعوة إلى الانضمام إلى جمعيات الاخوان المسلمين عن طريق الخطاب فى المقاهى والاندية العامة . . كنا نقف فى المقاهى نخطب والناس يلعبون الدومينو والطاولة ويستمعون إلى الأغانى .

● **كنتم تتعمدون أن تخطبوا فى اللاهين عن الاحوال ؟**

قال الشيخ الباقورى :

ـ نعم وكانوا يتركون ما فى أيديهم ويستمعون إلينا . وينضمون لنا وكانت البيعة أن نعاهد الله على أن نفدى شعبنا فى مصر وشعوب أمتنا الإسلامية بكل ما نملك من نفس وجهد ومال وأن نكون على خط أسلافنا الصالحين والانتصار لدعوة الإخوان المسلمين التى هى وحدها صورة صادقة للدعوة الإسلامية المثالية والله على ما نقول شهيد . ثم يتلو المرشد العام الآية . « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما » .

***

وبذلك يكون قد انضم للإخوان المسلمين ناس من عدة طبقات فيهم الحزبي الذى يريد أن يعمل فيبلغ الحكم وزيرا وفيهم الإنسان الذى يريد أن يخطب وأن يتعلم الخطابة وأن ينتفع بمزاملة إخوان له بين الناس يتشجع بهم وكان هناك نظام الكتائب . كتيبة خالد بن الوليد وكتيبة عمر بن الخطاب وكل من يعجب بخالد ينضم إلى كتيبته والمعجبون ينضمون إلى كتيبته .

● **وأنت . . أين كان موقعك ؟**

ـ اخترت كتيبة لم تكن موجودة . . كتيبة أبى بكر الصديق وذلك لأمرين الأمر الأول أنه كان إنسانا فسيح الآفاق وأنه كان شديد الحب لرسول الله وأنا كنت فى هذا شديد الولاء لشيخ الدعوة حسن البنا واخترنا تلك الصورة لأنها تشابه صورة المجتمع الإسلامى بزعامة سيدنا رسول الله ، وظللنا نقوم بالدعوة مع شيخنا ونرحل إلى مصر كلها وفى منطقة بورسعيد والقنال رأينا ونحن نياما . . رأينا فى حفرة تحت الأعمدة جماجم وعظاما لناس ماتوا فى السخرة أثناء حفر قناة السويس ولذلك كنت من أسعد الناس حينما أعلن جمال عبد الناصر تأميم القناة لأننى رأيت بنفسى ماذا بذلت مصر من أبنائها فى سبيل حفر هذه القناة وكيف سيطر عليها الغرب بعد ذلك .

وسؤال طرح نفسه بشدة ؟

● **كيف كان الإقبال على الاخوان وحزب الوفد ينظم البلد . . ومن الشباب بالذات ؟**

قال الشيخ الباقورى :

ـ الدعوات السياسية لا ترضى ظمأ الشباب فالشباب دائما يطلبون مثلا عليا حادة شديدة الأثر فى النفس وكلما قسا الشاب على نفسه فى معنى من المعانى كان ذلك أدعى إلى تشبثه بالمبدأ وكانت غلطة الأحزاب بوجه عام أنهم يأخذون الشباب أخذ الذى يكاد يحس فى نفسه أنه مأجور إما لأنه يريد أن يعمل فى الصحف وإما أنه يريد أن يصطنع لكى يكون ذات يوم وزيرا من الوزراء . . هنا ، الإخوان عكس ذلك . . كانت دعوة الاسلام للحديث عن رسول الله وكتابه والدعوة إلى الاخوان فى ظل الله رب العالمين .

وكان إقبال الشباب على جماعة الإخوان المسلمين إقبالا لا نظير له . . ولو أن الإخوان المسلمين مضوا بهدوء على الطريق الذى كان المرشد حسن البنا رحمه الله قد رسمه لبلغوا ما أرادوا من أيسر طريق ، ولكن دائما الشباب يستعجل الأمور ويؤثر

الوقوف موقف التضحية أكثر مما يؤثر الوقوف فى موقف الحجة والأناة والصبر ومن هنا تعب الإخوان المسلمين من أنفسهم وأتعبوا الذين اتصلوا بهم ممن لا يفكرون مثل تفكيرهم . .

* * *

وتركته يسترسل حتى يصل ما انقطع من أمر هذه الجماعة . .

ـ وكنا نفتعل حلقات الذكر تحت ظل الشاذلية حتى يستعصى الأمر على الذين يراقبوننا وكان الشيخ حسن البنا شاذليا أخذ الطريقة عن سيدنا عبد الوهاب الحصافى الشاذلى وقال لنا وأشار لنا أن هذه المؤتمرات مراقبة مراقبة شديدة من الداخل والخارج فكنا نتكلف التصوف والذكر ونتجنب كلمات السياسة وما يتصل بالسياسة .

● **ولكنكم فعلا كنتم مشاركين فى السياسة ومهتمين بها !**

ـ وكنا حريصين على هذا فى ذلك العصر وكنا متفقين مع القيادة العليا على أننا لابد أن نظهر للناس بوجه وأن يكون فى صدورنا وجه آخر لا يعرفه أحد سوانا .

ودائما يأخذنا حديث الشيخ إلى القنوات العامة ويبتعد بنا عن القنوات الخاصة ولكن حياة الشيخ الخاصة كانت أيضا لها مكان هنا .

الحوار الرابع



حاصرونى فى شبين الكوم

واعتقلونى فى المنيا !

● بدأ الصغير ثورته فى باقور على الذين يتاجرون باسم الدين ويسيطرون باسم الصوفية . . كان يحلم بطفولة سعيدة فى القرية خالية من الأمراض . . كان يحلم ويدعو للإصلاح . . وحينما وصل إلى مدينة أسيوط كانت التربية الأساسية التى أرسى قواعدها أبوه الشيخ الصالح عبد القادر أحمد هى المصباح الذى ينير له الطريق فى غربته فى أسيوط ، وفى القاهرة أطل على الأحزاب السياسية والجماعات المختلفة واختار الإخوان المسلمين لينضم إليهم ويكون من شبابهم وينصهر فى بوتقتهم مع شيخهم المرشد العام الشيخ حسن البنا ، ويبدأ الحج إلى السجون وهو مشارك بالقيادة فى ثورة الأزهر . .

* * *

وكان يجب أن نقف لنسأل الشيخ عن رأيه فى المرأة . . تلك التى أعزها الله فى كتابه بآيات بينات سواء أما أم زوجة ، وأردت أن نبدأ معه تلك الإطلالة منذ البداية فى قرية باقور من أعمال أسيوط . .

● **رؤيتك للمرأة . . كيف تكونت . . كيف نضجت حتى وصلت إلى الزواج بالسيدة الفاضلة كوكب كريمة الشيخ عبد اللطيف دراز ؟**

وكان رد الشيخ الثائر كأنه صورة للمرأة فى المدينة والمرأة فى القرية :

– إن أحق ما يعنى به المرء فى مثل هذه الأشياء هو أن نتذكر دائماً أن التاريخ أمانة وأن الغش فى التاريخ هو لون من ألوان الغش التى لا يرضى الله عنها جميعاً .

قضية المرأة فى تاريخ أى إنسان تعلم فى الأزهر الشريف ونشأ فى القرية لا يمكن إلا أن يكون تاريخاً مصوناً بعيداً عن كل ما تعارف عليه الناس فى العصر والعصر الذى سبقه وكل عصر يجىء بعد ذلك ، غير أن القرية كان بها ولا يزال تأثير عميق فى نفس كل إنسان عاش فيها رأى أمه وأباه وأقاربه .

والقرية تستمد وجودها الدينى والعاطفى دائماً من الدين . فإذا جاء الإنسان بعد ذلك إلى مدينة كالقاهرة أو كأسيوط فإنه يظل مقيداً بمشاعره التى مشى عليها فى القرية .

وأذكر ويذكر الذين يعلمون أن الرجل أو الشاب فى القرية كان يرى ولى أمره ليس أباه فقط ولا عمه ولكن كل من فى القرية كان يعتبر نفسه مسئولاً عن كل شاب فى القرية وأذكر لله ثم للتاريخ أن بعض الذين كانوا يجاوروننا فى بيتنا الذى كنا نعيش فيه وبعضهم كانوا من المسيحيين كانوا يلفتوننا إلى سوء السلوك فى طريقة مشينا وطريقة حديثنا وذلك يعنى أن التكافل فى القرية المصرية كان أمراً معروفاً ولعل ذلك يكون ناشئاً عن أصول بعيدة الأعماق فى التاريخ .

لهذا لا أبالغ حين اقول أننى لم أكن أعرف شيئاً عن المرأة من ناحية الصلة بها إلا ما كنت أقرأه فى كتب الأدب عن شاعر أو أديب أو عن قصة من القصص التى كنا نقرأها فى تلك الأيام . . هذا فيما يتصل بالمرأة بوجه عام فى القرية .

لكن لما جئنا إلى القاهرة واختلطنا بأهل الفضل والعلم من مشايخنا فى الأزهر الشريف رأينا حياة غير الحياة . تبدلت الصورة فى أذهاننا ووازنا بين الحياة فى القرية وبين الحياة فى المدينة وشيوخنا كانوا يرقبوننا من بعد وكانوا يؤثروننا بعواطف ود واضحة وكان منهم قطعاً من يحرص علينا حرصنا نحن عليهم وكان فى مقدمة الذين عرفناهم منقولين مضطهدين فى معهد أسيوط الدينى الذى تلقيت فيه أول درس من فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز الذى كان معروفاً بعدائه للاستعمار ومجاهرته

بارائه السياسية فنقل تأديباً له على ذلك مدرساً بمعهد أسيوط .

* * *

وتركته يسترسل فى أول لقاء له بالثورة . .

– وهناك عرفت الرجل وكان يدرس لنا علم الجغرافيا مع أنه ليس متخصصاً فيه ولكنه اختار الجغرافيا السياسية لكى ينفذ منها إلى الحديث فى السياسة وعن حكم المسلمين بأيدى المستعمرين . .

مثل هذا كان يجعلنى حريصاً أشد الحرص على أن أتصل اتصالاً وثيقاً بأستاذى . . والرجل كان مجلسه مجلس أدب وسياسة وكرامة وكنا نغشى بيته ونراه فعلاً خليقاً بأن نعرفه ونتأدب بأدبه ونتلقى حياتنا عنه وطبعاً كنا نراه ونرى أهل داره عن طريق حب الاستطلاع . . وكانت كوكب طفلة صغيرة فى السادسة من عمرها تختلف كثيراً عن فتيات القرية بملابسها القصيرة وشعرها الذى لا يغطيه شىء . . فكانت دائماً . تحمل الحلوى فى جيوبها . . ولم أكن أعرف فى ذلك الوقت أننى رأيت السيدة الفاضلة التى رزقنى الله الزواج منها . . وبعد أن رأيتها ثانياً فى القاهرة كنت أحاول أن أراها بعد أن أصبحت فتاة ناضجة وأذكر هنا أننى كنت أسكن فى منطقة درب الجماميز وكان والدها يسكن فى منطقة بركة الفيل وكانت هى قد التحقت بمدرسة (سان فان سان دى بول) بالحلمية الجديدة فكنت أخرج مبكراً من درب الجماميز لأصل إلى بركة الفيل لأراها وهى تخرج إلى المدرسة وأحياناً كنت آخذ أحد أصدقائى ونذهب لأحاول أن أراها وهى تخرج من المدرسة بعد العصر أثناء العودة إلى المنزل . . أى أننى كنت صباحاً أخرج من حى الشرقاوى وأمضى سعياً على قدمى حتى أصل بركة الفيل وأقف هناك أستعرض الوجوه لعلى أرى التى حرصت على أن تكون زوجة لى .

* * *

وهنا أردت أن أربط بين السلوك فى الحياة وما وضعه لنا الشرع فى مثل هذه الأحوال فسألته :

● **هل من حق الخطيب أن يرى خطيبته ؟**

– كان أسلافنا رضى الله عنهم يتأدبون بأدب الإسلام فيحرصون على أن يرى الخطيب خطيبته بدرجة لو حكيت الآن فى العصر الحاضر لكانت شيئاً شاذاً حتى

ليقول بعض الذين عاشوا مع سيدنا رسول الله ﷺ (انى خطبت امرأة فكنت أختبىء لها فى النخيل حتى رأيت منها ما يدعونى إلى الزواج بها فتزوجتها وكان ذلك أدباً رفيعاً لأن رسول الله أمرهم بهذا : «إذا ألقى الله فى وجدان أحدكم خطبة امرأة فلينظر منها بعض ما يدعوه إلى الزواج بها» .

ولهذا لم يكن خطأ منى ولا تطفلاً أن أحاول أن أرى تلك التى اخترتها لتكون زوجة لى . .

● **كيف استطعت أن تقنع أسرتك بالزواج من قاهرية ؟**

ـ أمى رحمها الله كانت تحرص على أن تزوجنى من باقورية أعنى فتاة من باقور تملك بعض الأفدنة . . ولكن عاطفتى كانت أغلب وأقوى من أن أنزل على حكم أمى فنزلت على حكم قلبى وتزوجت أم أولادى . . وكانت أمى غير راضية فى أول الأمر ولكنها سعدت بى بعد ذلك .

● **هل لاحظت فرقاً كبيرا بين المرأة فى القرية والمرأة فى المدينة بعد أن انتقلت زوجتك إلى بيت الزوجية ؟**

قال وكأنه يقدم دراسة لأحد مراكز البحوث :

- الحقيقة أن الإنسان لا يمكن أن ينتقل مرة واحدة من العرف الذى نشأ عليه فى بلده إلى عرف جديد عليه من غير أن يكون هناك مفارقات . . أذكر أن والدتى رحمها الله كانت حماتاً لرجل من بلدتنا فكانت إذا لقيته احتجبت منه وهو زوج ابنتها وذلك بحجة أن أمها كانت تفعل ذلك مع والدى حينما يزورهم . . فهى تقتدى بأمها ، هذه صورة لا يمكن أن ترى فى القاهرة وإذا ما حاولت الأسرة أن تعيشها فإن الخاطب لا يعنيه أن يبحث أو يسعى لكى يراها .

ولأكمل لك قصة زواجي . . بعد أن تبينت أننى حريص على رؤ ية ابنة أستاذى بكل الطرق قلت الأفضل أن أذهب لزيارته لأراها وهى تدخل أو تخرج وفعلاً أخذت أحد زملائى وذهبت لزيارتهم وهناك طلب لنا الشيخ قهوة ولحسن حظى لم تأت القهوة على يد خادم ولكن التى أحضرتها كانت كوكب . . بعد ذلك كنت أراقب نفسى فأرانى ضيق الصدر كلما جاء لزيارتهم أحد الأقارب من قريتهم . . هذه هى المسألة الوحيدة التى أحسست أنها صنعت بنفسى ما لم أكن أحب أن تصنع . .

* * *

وحينما قررت التقدم لخطبة العروس آثرت البركة فى أن يخطب لى بنت شيخنا محمد عبد اللطيف دراز شيخنا أيضاً وأستاذنا حسن البنا وكنت قد التحقت بجماعة الاخوان المسلمين وشكر الله للرجل فقد صحبنى إلى هناك وهو الذى طلب ابنته كوكب لابنه أحمد حسن الباقورى معتبأ نفسه والداً لى . .

● **بعد الزواج هل أحسست باختلاف كبير بين زوجتك وأمك فى القرية ؟**

- لم يكن هناك طريق يأذن لنا بأن نفكر فى دائرة واسعة أكثر من الدائرة التى رأيناها كما نقول إن الإنسان ابن بيئته أكثر مما نقول أنه ابن ثقافته أو ابن التقاليد التى نشأ فيها . . هذه أمور تمر . . وخاصة أننى كنت قد تركت القرية صبياً إلى أسيوط فبدأت أرى أموراً كثيرة تعودت عليها كتغير ملابس النساء والحياة فى المنازل التى زرتها لأساتذتى أو أصدقائى وكانت زوجتى من منزل طيب له تقاليده فلم تختلف التقاليد كثيراً .



الولد الأول ذكراً كان أم أنثى له استقبال خاص وحب خاص وعلاقة خاصة وحنين وفرحة تظل تلازم الإنسان إلى الأبد : ظهور الأسنان . . الكلمات المكسورة . . أولى الخطوات :

● **تحدثنا عن فترة الخطبة والزواج . . فهل لك أن تحدثنا عن ميلاد ليلى . . ابنتك الأولى ؟**

- ليلى تعرف بأم أبيها فى بيتى . . فهى أول من تفتح لها قلبى وعينى . . ليلى جاءتنا مع خير كثير كانت قد ارتفعت مرتباتنا من ثلاثة جنيهات إلى ثمانية جنيهات . . وبدأنا نجد الحياة راضية لأن الإنسان كان يستطيع فى تلك الأيام التى لن تعود مرة أخرى إلى العالم . . كان الإنسان يستطيع بعشرة قروش أن ينفق على بيته !! يشترى لحماً وبطاطس وحلوى . . جاءت ليلى فى تلك الأوقات . . ولعلك تعرفين القرية وما يتصل بالقرية . . إنهم يؤثرون الذكور على الإناث وأنا خالفت رغبة والدتى وتزوجت من مصر ووالدتى تشيع للناس أننى لو كنت قد اتبعت نصيحتها لكنت أنجبت ولدا . . وأننى لست باراً بها لدرجة أننى ظللت ألتمس لهذا سبباً من الأسباب وأبث شكواى إلى بعض الإخوة الذين كنت أعتبرهم كالأساتذة لى ومنهم الشيخ محمود أبو العيون . . قال لى صديقى : يا أخى إكتب لأمك أو لوالدك وهو

رجل طيب ورجل إمام مسجد ومثقف ثقافة دينية وقل له إنه بما يعرفه المسلمون أن من يمن المرأة أن تبكر ببنت ، وجاء بآية من كتاب الله تبارك وتعالى « **يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما** » وقال لى زميلى رحمه الله عليه ورضوانه أن هذه القسمة هنا قسمة عقلية ليس هناك زيادة ولا نقص وأن السيدة إما أن تلد أنثى أو ذكورا أو خليطا من الإناث والذكور أو أن تكون عقيماً . . كتبت لوالدى بهذا المعنى وذكرت له أن شيخاً من شيوخنا هو الذى يرسل إليه بهذه النصيحة ويرجو أن ترضى عنى أمى وألا ترى أن تلك عقوبة من الله لى على أنى خالفت رغبتها .

وكتب لى والدى خطابا بهذا المعنى قال فيه :

« أقسم لك أنى ما وقع فى نفسى من هذا الأمر . . وأن المسألة قدر وأنك واحد من خمسة عشر من أخوتك وأخواتك ولا تتضايق من هذا لأن والدتك راضية عنك .

وهكذا استقرت نفسى .

ولم يكن من الأوفق أن أترك الشيخ دون أن أسأله سببا لاختياره لاسم ابنته .

● **لماذا سميتها ليلى ؟**

ـ الحقيقة ان كل دراستنا الأدبية كانت كلها تدور حول القصص الاسلامى ، والقصص الإسلامى فيه عبرة وفيه جمال وكانت ليلى كلمة خفيفة على الأذن حسنة الوقع فى الأذن لها تاريخ متصل بالعاطفة وفى الوقت نفسه قائم على العفة وهذه هى قصة ليلى فى تاريخ العرب « ليلى الأخيليه وليلى المجنون وكل كلمة ليلى تعطى هذا المعنى الشاعر وأنا كنت أقول الشعر فى بعض الأحيان وأتغنى كما يتغنى أمثالى وكان فى ذلك الوقت بدأ يطبع كتاب الأغانى وكنا نقرأ فيه قصصا طويلا وشعرا غنائياً وكانت ليلى هى الهدف الذى يدور حوله الأدب فى كتاب الأغانى ، هذا هو المعنى الـذى جعلنى أحرص على هذا الاسم ليلى .

وأحسست أن وتر الثورة لم يعد يعطى النغمات العالية فعاودت العزف عليه .

● **كيف سارت الحياة فى البيت ؟ هل خمدت الثورة فى نفسك ؟ فان الرسول ﷺ له حديث معناه أن الأبناء يصلون بالآباء إلى الجبن ؟**

ـ كلمة ولد على كل حال فى لغة العرب لا تطلق على الذكر بل على الذكر والأنثى كلاهما ولد . . وقد أثر عن الرسول ﷺ ، أنه حمل ذات يوم الحسن والحسين

وأنه كان يطلق عليهما كلمة ابناى وهو يقول صلوات الله عليه لهما :

« انكم تجبنون وتبخلون وتجهلون وأنكم لمن ريحان الله فى الأرض » .

معنى تجبنون أن الأب إذا كان له ولد فإنه يكون حريصاً على الحياة حتى لا ينشأ ولده يتيماً هذا هو معنى تجبنون وكذلك تبخلون فالولد يحمل أباه على أن يمسك يده فى الانفاق حتى إذا احتاج ولده إلى المال وجده : وتجهلون معناه ليس من الجهل الذى هو ضد العلم لأن الجهل عند العرب يطلق بمعنيين بمعنى الجهل ضد العلم والمعنى الآخر هو التسرع إلى الشر أى الحماقة هذا المعنى قد يدعو إليه الولد لسبب من الأسباب التى تجعل الوالد يدافع عن ولده فيتسارع إلى الشر هذا هو معنى الحديث الجليل وهو صادق بلا ريب .

● **ماذا حققت ليلى من هذا الحديث ؟**

ـ ليلى كانت طفولتها . . طفولة فى لغتها بطريقة فيها ذكاء وكان فيها جمال وملاحة ، عقلها طيب ومداعبتها لأهلنا وضيوفنا تدعو إلى السعادة بها ، كانت فى الوقت نفسه لها لغة طيبة وكانت تقلب (الطاء) إلى كاف فبدلاً من أن تقول «بطنى تؤلمنى» تقول «بكنى» . . كنت إذا خرجت من البيت أحرص على أن أعود إليه فى أقرب وقت حتى أرى ليلى .

ومن نوادر طفولتها أنها سمعت مرة الاستاذ محمد عبد الوهاب وكان يغنى بصوته الساحر تلحينه الجميل ليلى وحينما بدأ يقول « ليلى . . ليلى » على طريقته من التطريب الجميل فحسبت ليلى أن الأستاذ عبد الوهاب يناديها وجرت إلى المذياع كأنها تلبى النداء .

● الثورة داخل الشيخ الباقورى والتى بدأت من القرية : **ترى هل أخمدت الأبوة هذه الثورة . . ؟ هل أجلت بعض التصرفات الثائرة داخل مولانا . . ؟**

قال وهو يراعى الدقة :

ـ أطفت من حدتها وإن لم تقض عليها ! . . ولم تقض عليها لأن الثورة كانت أصلا للوصول إلى شىء وهذا مما ينفع الأولاد . . وأنها موصولة بالجانب (أنكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون) فالتقى فيهما الجانبان جانب تهدئة لمصلحة الولد وجانب الطموح لمصلحة الولد أيضاً وذلك هو قضاء رسول الله الذى لا فرار من قضائه ﷺ .

والحقيقة أن الثورة لم تزل فى نفسى ولكنها أعقلت حدتها وهدأت حرارتها إلى

جانب جعلنى أبدو فى بعض الأحيان كأننى انصرفت عن الشئون السياسية .

* * *

● نعلم أنه كان لديك القدرة على التحريض على الثورة وأنك كنت دائم الحج إلى المعتقلات بسبب هذه الثورة سواء بالمنشورات أو شخصياً هل تذكر بعضا من هذه المواقف ؟

قال يصف مصر بكلمات رقيقة :

– كان الإستعمار قد بدأ يشتد وكنت قد تزوجت فى عام ١٩٤٠ والحرب العالمية فى بدايتها وبدأت القوى المختلفة تطوف بشباب مصر . . وبدأ الشباب يكون موطن استقلال وبدأ الاستعمار البريطانى يتبخر وكانت هناك مواقف كثيرة جداً كنا نتلمسها لتحملنا على أن نهاجم الاستعمار . . وتفتحت عواطف إخواننا وزملائنا والشعب كله بوجه عام على أن يبغضوا الاستعمار وأن يقاوموه بكل صور المقاومة وكان الطلاب يثورون ويقومون بالإضرابات فيفرقهم الإنجليز بالقنابل وفى إحدى المرات كنا نشيع جنازة أحد هؤلاء الشباب وفى المدافن وقفت خطيباً فى المشيعين وكنا ننتهز أية فرصة لنتحدث عما ينتظم البلاد من أحوال لا نرضى عنها . . وقفت خطيباً أرثى الذين قتلوا والذين جرحوا وأقول . . إن الاحداث يجر بعضها بعضا وقسوت على الذين ظاهروا الاستعمار بحكم أننى رجل وطنى أكره لبلدى أن يكون مستعمراً أو مستعبداً لأية قوة فى العالم وبعد أن أنتهيت من خطبتى التى أثارت الناس ، إذا بالبوليس السياسى يكتب ما شاء له الهوى وقبل أن يلقى القبض « على » على أثر هذه الخطبة نقلت بقرار من مجلس الأزهر من معهد القاهرة الذى كنت مدرساً فيه إلى معهد شبين الكوم الدينى والذى كان يرأسه الشيخ عبد الحق عيسى . . وهناك لم أنزل عن طريقتى فى الربط بين العلم والدين وبين السياسة والدرس حتى إذا كانت الدراسة عن القرآن أو السيرة فقد كنت التمس لها وسيلة من الوسائل وأتحدث عن السياسة .

وبينما أنا فى شبين الكوم وكنت أنزل فى الفندق هناك إذا بالفندق الذى أنزل فيه محاط من كل جانب برجال البوليس حتى ظن الناس أنه موقع حربى وإذا برجل لطيف من الضباط يحضر لكى يوقظنى من النوم ويقول لى :

– تسمح تيجى معانا شويه

– على فين ؟

- مشوار صغير !

ونزلنا وسط صمت رهيب أشد على النفس من الكلام الصاخب وأركبونى سيارة جميلة أنيقة . . وظلت السيارة سائرة .

- على فين ؟

- إلى القاهرة : ثم تركب القطار وتذهب إلى بيتك فى الزيتون.ورجال البوليس السياسى متعهم الله دائماً بحس دقيق وذوق رفيع فى التعامل مع ضحاياهم . فظل الرجل أميناً مهذباً وفى غاية رقة العاطفة والأدب الجم حتى وصلنا إلى القاهرة .

- هذه هى القاهرة يا سيدى :

- نعم لكننا سندخل لنرى القطار لأن هناك من ينتظروننا . .

وفى المحطة وجدت أنه محجوز لنا مكان فى القطار الذاهب إلى المنيا . . وتقابلت فى محطة الجيزة مع أستاذى ووالد زوجتى الشيخ محمد عبد اللطيف دراز وبعض الآخرين . . فقد كنا ذاهبين إلى معتقل ماقوسه بالمنيا .

وطافت بذهنى زوجته فسألته :

● **ماذا كان موقف زوجتك حينما ذهبت إليها وأخبرتها بنقلك إلى شبين الكوم ؟**

وتبسم ثم ضحك وأزاح العمامة فبدت منابت شعره التى زينها الشيب وقال :

- سألتنى زوجتى عن السبب فقلت لها : « أنها السياسة يا كوكب . . فاكتأبت وقالت «أنا حظى مثل حظ أمى . . عندما كانت مخطوبة لأبى أخذوه منها إلى قصر النيل» لكنها شجعتنى وقالت : أبى أعدنا لهذا اليوم .

***

كان حماسها للأزهر شديداً فوالدها من رجاله وبالرغم من أنها تعلمت اللغة الفرنسية فى المدرسة إلا أنها عايشت القرآن الكريم وسير السلف الصالح فى البيت وتشبعت بهم وكأنهم أفراد أسرتها . . تعلمت من أبيها كيف تستشهد بأبيات الشعر . . وسألتها أن تعود بذاكراتها إلى تلك الأيام الخوالى لتتذكر أول لقائها مع شيخ مصيرها وثائرها العظيم . . وتعترف الصغيرة ذات الخمسة عشر ربيعا فى ذلك الحين أنه لفت نظرها والتقت ذاكرتها مع ذاكرته عندما كان يزورهم فى أسيوط مع تلاميذ والدها . .

وأردت أن أسأل ذات السجينين ـ سجن أبيهـا وسجن زوجها ـ أردت أن أسألها :

● السجن فى حياتك له مكان هام جدا . . أبـوك دخل السجن وزوجـك أمضى فى السجن فتـرة زواجكـما الأولى . . إحكى لى عن السجن عنـد ذات السجينين ؟

قالت تلك التى أعطت الطموح لزوجها :

ـ نبدأ بمشهد بمحكمة مصر الوطنية . . كنت متعلقة بأبى وكان عمرى ١٤ عاما وذهبت معه لأشهد معه محاكمة تلاميـذه الذين قبض عليهم وأودعـوا سجن الإستئناف فى حركة الأزهر .

فشاهدتهم يأتون والقيد فى أيديهم ويزج بهم فى قسوة إلى قفص الإتهام ولفت نظرنا منظر شيخ هادىء هدوءا شديدا لا يهتم بكل ما يدور حوله وبدأ النداء على المتهمين فيرد محامى كل منهم بالنيابة عنه . . ونودى على أحدهم . .

- أحمد حسن الباقورى . .
- . . . .
- أحمد حسن الباقورى
- . . . .

والتفتت الاعناق إلى الشاب الهادىء الجالس فى قفص الإتهام ونطق بكلمات هادئة لم تفقد حماسها . .

- ليس لى محام . . أنا سأتكلم عن نفسى . .

. . . وأحسست بانطباع خاص جدا لهذا الشاب . . ولكنه كـان من مصدر حبى لمصر . .

ثم أضافت . .

- ثم سألوه . .
- هناك اتهام بأنك صاحب ثورة الأزهر . . فما رأيك ؟
- أنا لست صاحبها فقط . . أنا المفكر لها والمتكلم لها وصاحبها أيضا .

وكرر رئيس المحكمة سؤاله حتى يتراجع الشاب الذى كانت ترقد تحت عمامته ثورة جيل كامل ولكنه أصر على أقواله مرددا :

- أنا مفجر ثورة الأزهر .

وتقول السيدة كوكب وهى تعود لأيام عمرها الأول :

وتذكرت كيف حملها مرة بعد أن أوقعت «المربى» على ثوبها وغسل لها يديها ومسح ثوبها .

واستمعت إليها وتذكرت كلماته وهو يؤكد قسوة البوليس السياسى الناتج عن ضعف النفوس وأن الثوار لم يكن يعوزهم المكان فكانوا يلتقون فى عربات الترام ويغيرون الخطط باستمرار حتى لا يستطيع البوليس مهما أوتى من فطنة أن يفتت قوتهم . . وتقول السيدة كوكب دراز حرم الشيخ الباقورى :

ـ كنت متحمسة لقضية البلد وكل ما نرجوه الإستقلال وخروج الإنجليز والتقيت مع أحمد عند هذه النقطة . .

وأقيم اللقاء . . فهو لقاء بلا موعد . . نقطة لقاء معنوية حيث التقاليد هنا تأخذ شكل التنفيذ المحترم دون الشعور بالظلم من الأسرة . . وكانت فتاتنا فى ذلك الحين من ذلك النوع من الفتيات اللاتى يعترفن أنه شرف كبير أن تكون للأسرة تقاليد وشرف أكبر أن تراعى الفتاة تلك التقاليد . . كانت لا تكلمه وإنما تراقبه عن بعد . . لم تكن تفكر فى نوع فتاها بعد فقد كان خيالها دائما يصاحب طموحها لتكون شيئا ما فى بلدها قبل أن تتمثل نفسها زوجة وأما . . كانت تتمنى أن تفعل شيئا على طريق المرأة ، كانت تتمنى أن تثبت دائما أن المرأة جديرة بالعمل فالمرأة التى تستطيع أن تكون أما ويتكون فى رحمها طفل يستطيع عقلها أيضا أن يحقق الكثير . ترى ما الذى حدث وغير تفكيرها ، ما الذى حدث تماما وبالضبط وجعلها تكتفى بلقب حرم الشيخ الباقورى . . هل سد الطريق أمام طموحاتها ؟

ـ لا . . أبدا . . لم يسد الطريق أمام طموحى أبدا لقد استمر طموحى كما هو ولكنى حولته بيدى وبرضاى وبلا أى ضغوط . . كان الله دائما يضع خطوطا عميقة وواضحة فى لوحة حياتى . . وما أجمل اللوحات التى يرسمها الله . . إن ظله ليس ظل أى رجل عادى لقد شعرت أن مكانى هنا بصبرى وتحملى ومحاولاتى الدائمة للوصول إلى هدفه وهو نفس هدفى . . سيتحقق طموحى كله .

● كيف ؟

ـ لأن الطموح السياسى للفتاة فى الثلاثينات والأربعينات كان ضربا من المستحيل ولكن الفتيات منذ ثورة ١٩ كان لهن دور هام خلف الرجال . .

* * *

– وأحسست أن أبى أهتز بهذا الشاب مثلى تماما ومثل كل من شهد لحاكمة . .

وأصبحنا نحج إلى المحاكم ، أبى مصر على أن يتابع تلاميذه ويسعى إليهم فى كل مكان مشجعا لهم .

ومن محكمة إلى محكمة وصل بنا المطاف يوما إلى محكمة نور الظلام . . . وفى طريقنا وقفنا أمام أحد البيوت الكبيرة فى حى الحلمية الجديدة وكان حيا من أجمل أحياء مصر بيوته قصور لها حدائق غناء ووقفنا أمام أحد هذه القصور انتظارا لقدوم المتهمين لنراهم قبل دخولهم إلى المحكمة . . ولم أكن أكبت رغباتى وأفكارى كمراهقة فى ذلك الحين فعقدت مقارنة بين البيت الذى نقف أمامه وحديقته الغناء وطيور الببغاء الملونة الجميلة التى بها وبين بيتنا الصغير الذى نسكنه بعد أن فصل أبى من الأزهر . . وكانت المقارنة بصوت عال سمعها أبى . . وقال لى وقوله يطوى فلسفة خاصة :

– أليس قصر عابدين جميلا أيضا ؟ ؟ . . ليست الحياة بالقصور يا ابنتى لكن ما بداخلها هو الذى يحدد طعم الحياة وفائدتها . . ومر المتهمون أمامنا ورأيت أحمد بينهم . . ولكن التفت للبيت الجميل ثانيا ألقى عليه نظرات أخيرة قبل أن ندخل المحكمة . .

والعجيب أنه لم تمض ٥ سنوات حتى اشترت أمى هذا البيت بذاته وعقد فيه قرانى على نفس المتهم الذى جئنا نراه وهو فى طريقه إلى محكمة نور الظلام . .

* * *

وأوقفت تيار الذكريات الجارف فأنا لا أقصد إلا الشيخ نفسه وكيف وصلت إليه ووصل إليها وأصبحت هذه المعزوفة الجميلة ــ ماشاء الله ــ ذات النوتة الموسيقية الثلاث ــ ليلى . . عزة . . يمنى والأحفاد .

كيف اندمجت فتاة تنطق الراء غينا وبدأت حياتها بتعلم اللغة الفرنسية . . كيف أصبحت العمامة هواها ومنتهى أملها ؟

قالت بصراحة تزيد قصتها قوة :

– كان والدى يرفض كل من يتقدم لى . كان لا يناقش حتى أخلاقهم أو أصولهم وعائلاتهم . . كانت أمى تفرح بقدوم العرسان ذوى الحسب والنسب والمال . . وتحكى وتقول وتعد نفسها لاستقبال الحسب والنسب . . وبكل بساطة

يرفض أبى فى جملة دائمة التكرار . .

- البنت مازالت صغيرة ! !

وأنا كنت مستمعة فقط والحقيقة كنت أعجب بكلمات أبى لأننى كنت لم أضع فكرة نهائية عن الزواج أو ترك البيت الذى أحبه وأحب أبى بالذات . .

وفى أحد الأيام جاء أبى . . وكانت ليلة العيد الكبير وأمى مشغولة مع الجزار فى بدروم البيت . . وأخذنى أبى إلى الصالون وقال لى :

- اغلقى الباب . .

وأغلقت الباب . . وأخفى ابتسامة حنان بين قسمات حادة تناسب الموقف وسألنى :

- لما تحبى تتجوزى تختارى زوجك من أى نوع ؟

واضطربت . . كان السؤال مفاجئا . . ولكن قلت بسرعة :

- أنا غنية بأبوتك والتى لديها أب مثلك لا تختار . وضحك أبى ضحكة اعتزاز وسعادة وقال : مبروك لقد انتهيت منك اليوم .

- ولم أحاول أن أنطق سوى جملة واحدة ربنا يخليك . . عقبال وفاء .

وكانت وفاء هى رقم ٢ بعدى . . وكانت أمنيتى الكبرى أن أعرف اسم العريس ولكن كيف أسال . . . وقد تورطت فى القاء ثقتى الكاملة إليه . . وكأنما أحس بى فقال :

- أنا اخترت لك انسانا يحفظك ويخاف عليك سواء فى حياتى أم من بعدى يحترمك سواء أنا فى منصبى أم فى الشارع . . لكن الأفندية المايعين بتوع اليومين دول فاضيين وغير جادين ولا يعتمد عليهم . .

وهممت بالإنصراف قبل أن تفضحنى كمية الفضول التى تملؤنى . . ولكنه أبقانى وقال رحمه الله .

- هل عرفت إسم خطيبك ؟

قلت وكأننى ألقى بحمل ثقيل

- من يا بابا ؟

قال : أنا أعطيت كلمة للأستاذ أحمد حسن الباقورى .

ومر الشريط فى خيالى بسرعة . . المحاكمات . . هدوئه . . ردوده . . لجان الطلبة ولكن العمامة وقفت قليلا أمامى فقلت بلا تفكير :

- للشيخ الباقورى يا بابا ؟

قال باعتزاز وخيلاء

– نعم . . إبنى وتلميذى . . الرجل الكامل الذى أأتمنه عليك وأنت أول أولادى وأغلى ما عندى .

ورغم الإعجاب السابق والإمتنان والعرفان لأنه هو وزملاؤه كانو السبب فى عودة أبى إلى عمله بالأزهر ورغم إحساسى بالتقدير الكبير له إلا أننى كنت أفكر فى مواجهة صديقاتى . . والشكل دائما عند الفتيات خصوصا فى عمرنا كان أهم من المضمون . . وأسجل للحقيقة أننى كنت أعطى اهتماما للنواحى المظهرية فى ذلك الحين . . ولكننى أحسست أن هذا لا يمكن أن يكون سببا للرفض . . يمكن أن يكون شىء من التردد ولكن رفض مثل هذا الشاب سيكون شيئا مخجلا بينى وبين نفسى .

* * *

وحدد موعد الشبكة . . وجاء الشيخ حسن البنا رحمه الله ليقرأ الفاتحة مع والدى وهنا حدث ما لم يكن فى الحسبان . . حدث ما جعل الشاب الشيخ يخطف ابصار الأسرة كلها ويحوز على أعجابهم جميعا فبعد قراءة الفاتحة مع والدى . . دخل أحمد ليتعرف على نساء الأسرة ويسلم عليهن ويأخذ مباركة والدتى كعادة العرسان فى ذلك الحين وجلس معنا بعض الوقت ولفت حديثه نظر كل من كان مع أمى من صديقات وسيدات الأسرة . . تكلم عن السماح فى الدين وكيف أن المرأة كرمها الإسلام بل كرمتها كل الأديان . . تكلم عن الإسلام دين كل عصر . .

وبدأت رحلتى مع الشيخ . .

واستطاع بشخصيته الجذابة وإيمانه القوى وحديثه الحلو أن يجعلنى أتخلص بسرعة من أفكارى الصبيانية الصغيرة بدرجة أننى أصبحت أتباهى بأننى مثل أمى زوجة الشيخ .

ووجدتنى أعيش معها كل ما قالته عنه وفقط أردت أن استزيدها فقلت :

● ورحلتك معه كيف كانت ؟

– كانت رحلة عجيبة . . عمامة وتحتها عقل راجح وقفطان وجبة وبينهما قلب شاب محب للحياة بكل ما فيها يعيش من أجل كلمات ثلاث « الإسلام – الوطن – الأزهر » .

فى فترة الخطبة دخل السجن وعلمت منذ ذلك اليوم أن دوره فى الحياة ليس دورا عاديا يقتصر على الكفاح من أجل الأسرة ومطالبها . . كنت قد عاصرت اعتقال أبى

فلم أكترث عند اعتقال زوجى . . وانتقلنا بعد عام إلى بيت الزوجية فى حلمية الزيتون كان بيتا صغيرا له حديقة جميلة أمضينا فيه فترة جميلة من فترات حياتنا ورزقنا فيها بابنتنا الأولى ليلى .

مع السادات فى المعتقل

وفى عامها الأول اعتقل والد الصغيرة مع الذين اعتقلوا فى حركة ٤ فبراير واعتقل معه الرئيس الراحل أنور السادات . .

– كنت أرسل الطعام لزوجى يوميا فى السجن ولا أعلم إن كان يصله أم يصل لزملائه ولكنى كنت سعيدة جدا لشعورى بأننى أساهم فى عمل وطنى لأننى كنت أعلم أن هؤلاء المعتقلين إنما اعتقلوا وهم فى موقف دفاع عن شرف الوطن . . وكنت فى ذلك الحين قد عدت إلى منزل أبى الذى كان معتقلا هو الآخر . . ولا أنسى أبدا الأمسيات التى كانت أمى تذرع بهو البيت ذهابا وإيابا وتقول : النحاس أخذ الرجلين !

وكان أكبر رجل فى بيتنا فى ذلك الحين هو شقيقى فريد الطالب بالمدرسة الثانوية ولكن الحياة فى مصر فى ذلك الحين كانت تضيف للمرأة صلابة شديدة لتواجه المواقف حيث الرجال دائما فى المعتقلات .

ويتكيف الإنسان دائما بما يحيطه من ظروف ويوظف الذكاء لخدمة هذا الظرف وتلك المشكلة . . وكانت المعتقلات مليئة بالثواروكلما زاد عدد الثوار تكثفت الحراسة واشتد التضييق عليهم ولكن الناس خارج السجون كانوا يبتدعون الحيل لكى يصلوا إلى الثوار ويوصلوهم للناس .

● **كيف كنت تراسلين زوجك ؟**

ابتسمت وأكملت سيناريو حياتها :

– كنا نبتكر الطرق إلى ذلك . . كنت أكتب رسائلى بالقلم الرصاص واضعها داخل « أبرمة » الحمام والفريك أو داخل صوانى البطاطس فكنت افرغ الثمرة ثم أضع الرسالة وأغلقها ثانيا ونرصها فى الصينية مع الصلصة واللحم ونادرا ما كانت تضبط رسائلنا فى ذلك الحين وكانت تعييهم الحيل فينقلونه إلى معتقل آخر دون أن يخبرونا فنظل نبحث عنهم حتى نعرف مكانهم أو يرسل هولنا من يخبرنا بمكان اعتقاله وكم من مرة دب اليأس فى نفوس رجال البوليس السياسى لملاحظتهم المستمرة لوصول الرسائل للمعتقلين .

وكنا قد سمعنا أن منشورات الشيخ الباقورى كانت توزع على الناس بعد صلاة الجمعة بينما هو فى المعتقل فما هى قصة هذه المنشورات ؟

● **كيف كانت تصل منشوراته إلى الناس وهو فى السجن ؟**

قالت وبريق الإنتصار يلمع فى عينيها :

– آه . . المنشورات . . أقول لك . . كان يرسل لى فى قاع عمود الطعام أو فى أغلفة . . العلب الفارغة . . رؤوس الموضوعات التى يريد أن يطرحها على الناس ! كنت أحاول جاهدة المحافظة على أسلوبه فى صياغتها وتدبيجها ثم نطبعها على البالوظة فى بدروم منزلنا . . كنا نكون فرقة حرس من اخواتى . . وفاء « على الشباك » وفريد على باب البيت ويوسف وأمال يلعبان فى الحديقة وكأن الحياة تمر عادية جدا فى ذلك البيت . .

ويتم طبع المنشورات ثم يأتى الزملاء ويأخذونها ويفاجأ البوليس السياسى بمنشورات الباقورى فى أيدى الناس وهو مازال داخل السجن فى ماقوسة أو فى سجن الأجانب .

صدقونى أنها تحكى معاناتها بشوق شديد إلى العودة إلى تلك الأيام . . إنها تتمنى أن تعود حياتها من جديد لتعيد ما حدث تماما . .

● **هل تذكرين بعض هذه الرسائل ؟ هل توصلت إلى أسلوب من أساليب الشفرة بينكما ؟**

– نعم . . كان مثلا حينما يريد أن يرى أحد هذه المنشورات ويريد الاطمئنان على طبعه يرسل لى قائلا : « أطعمينا مما أطعمت به الزملاء » .

فأرسل له نسخة ليرى بنفسه كيف خرج المنشور إلى النور . . لقد كنت أشعر بارهاق شديد عند إعادة صياغة المنشورات وذلك لحرصى على أسلوبه وعباراته حتى أن رجال البوليس السياسى كانوا يتساءلون « الباقورى فى السجن ومن الذى يكتب إذن هذه المنشورات ؟ » .

* * *

واشتقت أن أعرف حياتها الخاصة . . بيتها لأننى طوال الحوار السابق أعيش خارج البيت فى المعتقلات وفى الشوارع وعلى أرصفة الأيام .

● **قولى لى . . بيتك حياتك الخاصة . . فى الأيام القليلة التى تعتبرينها ملكا خاصا لك . . كيف كانت الحياة ؟**

وكانت أجابتها أيضا خارج سؤالى :

– ألم تعلمى أن بيوت مصر كانت فى ذلك الحين لا تعيش حياة خاصة . . كان بيتى يغلى . . كان قطعة من مصر . . الاجتماعات بين زوجى وتلاميذه لا تنتهى . . والمناقشات تعود حول موضوع واحد حتى ضوء الفجر . . مصر ومصر فقط والتدهور الذى كانته فى ذلك الحين .

أحكى لك قصة حدثت لى . . دخل زوجى مرة ذات مساء إلى منزلنا وكان الصغار قد ناموا وأنا أنتظره وحدى وفوجئت به يأخذنى من يدى قرب غرفة مكتبه ويقول :

– عاوزة عشرين ألف جنيه ؟

– بلاش هزار يا أحمد . . إنت جرى لك حاجة ؟

– أبدا والله باتكلم جد . . !

أنظرى . . أنظرى هنا واقتربت من باب الغرفة فرأيت منظرا عجيبا لقد وضع المصباح فى أرض الغرفة ورأيت شبح رجلين يجلسان على الأرض يغمرهما الظلام . ثم قال :

– هذان الرجلان ثمنهما عشرون ألف جنيه . . إنهما متهمان بالاغتيالات السياسية ومطلوب القبض عليهما مقابل هذا المبلغ الكبير ! !

وثرت واعتقدت أن زوجى بعد هذا العمر لا يفهمنى وغضبت وقلت له :

– هل تظننى أقوم بهذا العمل مقابل مال الدنيا ؟ عيب يا أحمد لقد أمنا بيتى ولجآ إلى وعلى أن أوفر لهما هذا الأمن وأكون عند حسن ظنهما . . وابتسم وقال لى :

– الحمد لله يا كوكب . . أنت كما أنت كوكب التى أعرفها .

● وموقف ظريف لا تنسينه أبدا ؟

– بعد زواجى بيوم واحد استأذن منى ليخرج ويعود بعد ساعة وكنت أجلس أمام مرآتى وفوجئت برجل افندى أنيق يرتدى بدلة جميلة يدخل غرفتى فالتفت مذعورة وكان هو

● وفرحت بانتصارك على العمامة ؟

قالت وذكريات أكثر من أربعين عاما تملأ عينيها سعادة :

– أبدا . . ابدا لقد فضلت العمامة وصاحبها على كل افندية العالم . .

● ورأى له أعجبك ؟

– مقارنة بين شخصيتى عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب . . رضى الله عنهما . . يقول عن عمر إنه يصلح للقيادة لا للجندية بخلاف على الذى يصلح

للجندية لا للقيادة وإن الله لو أراد بالمسلمين خيرا لمد فى حياة عمر عاما واحدا .

● **وقول أفادك فى حياتك كامرأة ؟**

– إنه يردد دائما قول سيدنا رسول الله ﷺ « خير ما يكتنز الرجل المرأة الطيبة . . إن نظر إليها سرته وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته فى نفسه وفى ماله » فالمرأة الصالحة فى نظره هى التى يتمثل فيها هذا الحديث . .

● **وأنت ؟**

– أحاول أن أكونها والحمد لله

● **ومتى يغضب شيخنا الجليل ؟**

– حينما أحاسبه حسابا عسيرا على سلوكه الذى يسميه جهلا لقدره فهو لا يحب أن يحاسبه أحد أبدا . . ومن أقواله التى يتمثلها دائما « إن التواضع للصغار شرف وإن الكبر على أهل الكبر صدقة »

● **وهداياه لك ؟**

– قل أن يحضر هدايا . . بعض الأحيان قرط أو قطعة قماش وأجمل هدية كانت تمثالا جميلا من هونج كونج

● **وأجمل فترات حياتك وأمتعها معه ؟**

– حينما كان شيخ معهد المنيا الدينى عام ١٩٥١ . . وأيام المعتقلات !

الحوار الخامس



أسرار التاريخ :

- **عبد الناصر لم يكن فى الأخوان**
- **السادات يهرب من السجن**

● عندما بدأ الشيخ الباقورى يروى قطوفا من حياته اشترط أن تكون القطوف من كل مراحل العمر . ومن كل معطيات الفكر دينيا وسياسيا واجتماعيا . . وقد كنا عند حسن ظن الشيخ الثائر . . وبدأنا نمشى معه الهوينا من القرية فى باقور من أعمال أسيوط . . ثم انتقلنا معه إلى معهد أسيوط الدينى الذى كان الشيخ من طلبته الرواد . . وعشنا معه ثورته على التقاليد ثم رحلنا بذات القطار إلى القاهرة . . وعشنا ثورة الأزهر . . ثم تفتح الشاب على الحياة وأشركنا فى ذكرياته لاختيار شريكة حياته . . وكانت معه فى السراء والضراء . . فدخلنا المعتقل مع الشيخ الباقورى . . وهنا نقف لنأخذ منه رأيه فى الزعيم الراحل أنور السادات الذى زامله فى معتقل ما قوسة بالمنيا . ورأيه فى شباب مصر الذين عاشوا مشاكلها وثاروا من أجل القضاء على تلك المشاكل .

حينما كان الباقورى يعيش شبابه . كانت مصر كما الأرملة . ترتدى السواد وتربى الصغار ولا يجف لها دمع أبدا . . الإنجليز يعسكرون هنا والظلم ضارب فى الأعماق وأصوات السواقى وهى تروى الزرع كأنها تئن وتتوجع من أجل هؤلاء ومهما اختلفت الاتجاهات لا فرق بين شباب الوفد أو شباب وطنيين بلا أحزاب . . وكانت ثورة شيخنا توصله دائماً إلى المعتقل حيث كان الثائر دوما والمحرض باستمرار على الثورة . .

● **كيف خدعوك بالانتقال من شبين الكوم إلى معتقل ماقوسة بالمنيا ؟**

ابتسم . . وكأنه محب يتذكر حكايا حبه الأول :

– جاءوا إلى فى اللوكاندة التى كنت أسكنها ولكنهم غاية فى الذوق والهدوء . . وقالوا لى سنذهب إلى القاهرة . . وأركبونا القطار إلى القاهرة وكان هذا القطار ذاته يحمل مولانا الشيخ دراز الذى كان شيخا لمعهد الزقازيق الدينى والذى أيقظوه أيضاً من نومه وأخذوه على القطار رأسا وفى محطة الجيزة بعد أن ركبنا القطار الذاهب إلى الصعيد إذا بنا نرى فى المحطة شيخ الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرازق رحمه الله ورضى عنه وجدناه جاء ووقف لتحيتنا ونحن فى الطريق إلى المعتقل .

وطغى حب الاستطلاع على كل شىء وسألته حتى أقتل حب الاستطلاع وأتمتع بحوار الرجل الذكى :

● **كيف كان الحال فى معتقل المنيا ؟**

وبشكل وثائقى عودنا عليه الشيخ الباقورى .

– حقيقة البلد ذاته كان طوال عمره من بلاد الجهاد . . وكانوا قد استاجروا لنا بيتا يملكه رجل اسمه عبد الرحمن باشا الماقوس كان الرجل قد بناه ليكون مقراً للزوجية .

وفى هذا القصر كان اللقاء بين مواطنين من سائر الأجناس والطبقات . .

● **من تذكر من هذه الأسماء ؟**

– أذكر أخى وصديقى وزميلى الأستاذ موسى صبرى . . والأستاذ نجيب ناشد المحامى وزميل لا أذكر اسمه الثانى كان اسمه خليل . . وآخر كان اسمه ماهر . . كانوا شبابا صغيرا . . وكان من العسكريين عبد الوهاب حسنى . . وكان من بين هؤلاء الرئيس محمد أنور السادات .

ووجدت الخيط أمامى فالتقطته بسرعة .

– هل كان هذا اللقاء هو أول لقاء بينك وبينه وماذا كانت تهمته ؟
قال يتذكر
– نعم لم أكن أعرفه إلا فى حدود بسيطه جداً حينما كان يأتى للإخوان المسلمين مع كل الضباط الأحرار الذين كانوا يمرون علينا .

– وهل كان عبد الناصر معهم ؟
– عبد الناصر لم يكن وجوده واضحاً فى الإخوان إنما الذين كانوا يترددون باستمرار ووجودهم واضحاً هم أنور السادات وكمال الدين حسين وحسين الشافعى وقد كانت فيهم نزعة للتدين .

واللقاء الأول فى سن الشباب وفى المعتقل ربما يلقى الضوء على شخصية الرئيس السادات فسألته :

● **هل يمكن أن تقول لنا ملاحظاتك على شخصية أنور السادات ؟**
– كانت ملاحظاتى الأولى على أنور السادات أنه كان رجلاً كتوماً لا يكاد يتحدث إلا فى حرص شديد أما أوضح ما فيه فهو أن ملاحظاته كانت فى غاية القوة وعاطفته قوية كان فياض العاطفة وحينما وجدت العاطفة وجد الاندفاع .. أنور السادات كان ممتلئاً بجزء عاطفى ضخم جدا يملأ نفسه فى تعامله مع الناس حتى الذين يعاملهم سطحياً ، كان رجلاً عاطفياً وتحسين هذا منه وأنت تتحدثين إليه وأنت تصافحينه أو وهو يتحدث إليك أو يسلم عليك ... كان فيه معنى عاطفى دقيق جداً هذا المعنى العاطفى كان يطغى عليه أحياناً .. وعلى وجه الخصوص فى تصرفاته السياسية فيدعوه إلى التطرف .

● **هل التطرف كان واضحاً فى شخصيته فى هذه الفترة ؟ وكيف هرب من المعتقل ؟**
– أى نعم أحسست منه فى تلك الفترة أنه شديد التطرف وكنت أرد هذا التطرف فيه إلى طغيان العاطفة على عقله .

فى تلك الفترة كان يعيش معنا فى معتقل ماقوسة مع غيره من المعتقلين السياسيين ، وكان القصر قد اصبح معتقلاً مكوناً من دورين وكنا ننزل لننام فى الحديقة وحينما أراد أن يهرب على طريقته لأنه هرب قبل ذلك من معتقل الزيتون وعلى طريقته هرب فى إطار القانون وهو يحترم القانون طوال عمره ومن طبيعته أنه يضع

القانون فى إطار لتحركاته فلما هرب من معتقل الزيتون ذهب وقيد اسمه فى سجل التشريفات بالقصر الملكى بعابدين ، هو هذه المره يريد الهرب فيريد أن يضفى على هروبه صيغة قانونية ، نادانى ذات ليلة وقال لى :

- أنا نويت الهرب أنا وحسن عزت .

قلت :

● كيف ؟

قال :

- ما لكش دعوه يا شيخ احمد . . . إنت تنزل تنام واحنا سنحاول الهرب وإذا هربنا ونجحنا خلاص انتهينا وإذا لم ننجح فسوف نحتمى بك ويقولون كيف هربوا ؟ . لقد كانوا هنا نائمين بجانب الشيخ احمد والناس هنا يحبونك ويحترمونك فما عليك إلا أن تقول أننا كنا نائمين معك ، وفعلاً جاء أنور ونام بجانبى وحينما جاءت ساعة الصفر كما يقولون استعدوا ليذهبوا إلى سور القصر ليقفزوا من فوقه وإذا سأل أحد عنهم فسوف أقول كانوا هنا من دقيقة واحده . . يمكن راحوا دورة المياه أو ماشاكل ذلك .

ولكنهم لم ينجحوا فى تلك الليلة فى الهرب .

وبدأنا نتمرد على الحكم القائم فى المعتقل وكنا نلقى بدواليب القصر فى الطريق العام حتى لا تمر السيارات .

- هذه خطة . . إذن !

- نعم خطة . . وفى تلك الأثناء تنبهوا لنا وكان هناك قومندان للمعتقل اسمه محمد على يرحمه الله إذا كان قد مات ويعفو عنه لو كان على قيد الحياه فقد أمر الرجل باطلاق الرصاص فى المليان علينا وكدت فى تلك اليوم أصاب برصاصه لولا فنجان قهوة كان فى يدى فخفضت من رأسى لأشربه فلم تصيبنى الرصاصة وكان الأولاد الذين معنا يقذفون الجنود بالطوب . وكلما استشعر العساكر خطراً على أنفسهم اصروا على أن يقتلوا فعلاً ولكن الحمد لله لم تحدث حالة قتل واحده . وبعد هذه المعركة بثلاثة أيام أستطاع أنور السادات وحسن عزت أن يهربا .

● **نجحت الخطة إذن ؟**

- آه نجحت الخطة . . والحمد لله . .

● **من أيضاً من الشخصيات التى قابلتها فى المعتقل مازلت على علاقة بها ؟**

- كان معى فى المعتقل أخى وصديقى موسى صبرى وكانت تهمته الكتاب الأسود الذى أصدره مكرم عبيد . كان موسى صبرى مع الشباب الصغير جداً لم يكن يعمل فى المحاماة بعد . . ولكنه كان إنساناً منتبهاً دقيقاً كنت ألاحظه حينما أروى قصة فيها أدب وكان تقريباً يحفظ هذه الكلمات . . مرة كنت أتحدث لبعض الناس الذين أجالسهم فقلت من أبخل الناس ؟

فقال الذى أحدثه : أنا أبخل الناس . . لأننى بخيل على نفسى . . ورد آخر لا أنا أبخل الناس . . لأننى أبخل بمال الناس على الناس . . فكان موسى صبرى يحفظ هذه الكلمات وأمثالها عنى وعن الآخرين . . كان إنساناً له صلة بالثقافة أو الأدب أو الصحافة . . موسى فيه عبقرية طوال عمره وفيه وفاء ولا أنسى من الكلمات التى أذكرها للمرحوم على أمين أن موسى صبرى لا جبان ولا متعصب .

● **الشخصيات التى كانت تجتمع فى المعتقلات شخصيات متباينة فماذا كان يجمعكم غير حب مصر ؟**

- كان الحوار على شىء من الطرافة مليئاً بالطرائف والحكم والقضايا السياسية . . وكانت تأتينا رسائل من أسرنا وأصدقائنا مهربة فكانت هذه الرسائل هى صلتنا بما يحدث خارج حدود المعتقلات .

* * *

● **كيف كانت تأتيكم الرسائل ؟**

- كانت ترسل لنا عن طريق الواعظ الذى كان يأتى إلينا من المنيا . . وكانت زوجتى ترسل الرسائل بلغة لا يفهمها سوانا . . أنا وهى . . كانت ترسل زوجتى رسائلها فى ورقة تضعها فى قلب البطاطس ومكتوبة بخط واضح وكنت أتناولها وأقرؤها وأرد عليها على طريقة رجل البوليس وكان هناك منهم ذو فضل كثير وناس طيبون جدا وكان هناك بعضهم يحفظ القرآن وكنت أقرأ القرآن ويأتى العسكرى ويجلس أمام غرفتى وأحياناً أخطىء فيرد على . .

● **فى سجن ماقوسة كيف كانت تأتيك الخطابات ؟**

- أحياناً كانت تأتى عن طريق الشيخ فودة رحمه الله . . وكان هناك أيضاً بعض الأصدقاء بين حين وآخر يأتون إلينا بالأخبار وما يحدث فى البلد . .

● كيف كانت الحاله الاقتصادية فى بيتك وأنت معتقل ووالد زوجتك معتقل ؟

– كانت أسرتها فى القرية لا تنساهم وترسل لهم وتساعدهم . . كانت زوجتى حمولة وبقدر ما تطيق وكانت أحياناً تكرم أولادها بأكثر ما يكونون وأنا طليق .

***

ولكى نخرج من المعتقل لابد أن نعود للحياة . . ولا أجمل من الحديث عن أكبادنا وخصوصاً حينما يكون الرجل فى حالة دائمة من الضيق . .

● كيف استقبلت مولودتك الثانية عزة ؟

– أما عزة فهذه كانت نعمة وبركة . وفى الحقيقة جاءت عزة وكان أحب إنسان لدى هو أم أبى وكانت تسمى عزة . كانت شديدة البر بى وهذه كانت رحمها الله أحب خلق الله إلى . وحينما جاءت أحببت أن أرضى أبى فأسميت ابنتى على اسم أمه . عزة كانت ولادتها عسرة وكسرت ذراعها فقاموا بتجبيسها فكانت موقع تدليل كثير منا . . كانت عزة محظوظة لأن اللبن كان ميسورا وكانت بجانبنا فى الجيزة مزرعة ويأتى الرجل باللبن . . وإذا تأخر اللبن نصف ساعة عن موعده يكون البيت عبارة عن حركة الجميع كلهم فى خدمة عزة . .

● وهل تشبه عزة جدتك فعلاً ؟

– أى نعم كان فيها من جدتى الكثير . . كانت جدتى فيها عاطفة وجاءت عزة صورة منها طبق الأصل فى شكلها وعاطفتها . . وكانت تحب الأكل برغبة تجعلك مهما كنت شبعانا أن تقبل على الطعام .

وعدنا إلى السياسة فقد جنحت على مركب عزة حتى يلتقط الشيخ أنفاسه بعد الخروج من المعتقل .

● بعد عزة كيف سارت الحياة بالأب الثائر ؟

– والله فى الحقيقة بعد عزة الثورة . . نزلنا من حلوان إلى مصر الجديدة فى شارع إسمه غرب القشلاق . كان بيتا صغيرا به شجيرات جميلة . وذات يوم إذا بموتوسيكل يجىء ومعه رسالة . . وكنت أقلم الحديقة فقال لى :

أين سيدك ؟

– ماذا تريد ؟

- إبراهيم باشا عبد الهادى يريده .

وكانت مع الرجل رسالة لى ولكنه اعتقد أننى البستانى فأعطانى رسالة لكى أقابل ابراهيم عبد الهادى باشا غدا صباحا فى العاشرة . .

. . وذهبت إلى ابراهيم عبد الهادى وهو رجل لا ينكر فضله فى الثورة الوطنية . . فقد كان خطيبها وكنت فى ذلك الوقت قد رشحت نفسى فى حى الخليفة لعضوية مجلس النواب وكانت المعركة شديدة لأن أفكارى كانت متطرفة . .

* * *

وأوقفت هدير الكلام . . فكان لابد أن أعلم ويعلم القارىء مدى فكر الرجل الذى يجنح إلى الاشتراكية . . ولكنه أكمل .

- كانت أفكارى متطرفة . . كنت أدعو للاشتراكية لأنى ناشىء من القرية من مستوى ليس أرستقراطيا فلابد أن أطالب بالاشتراكية وهى عدالة اجتماعية لا أكثر من هذا . .

واستوقفته . .

● **هل اشتراكية الإسلام مع قراءاتك الخارجية أو رأى خاص كونته نابع من احتياجات البيئة مع خط الاشتراكية العالمى ؟**

- كانت قراآتى الخارجية لا تعدو أن تكون عن التقريب بين الطبقات لم تكن اشتراكية إلحاد أو منحلة عن الدين . . ولكن كانت فى إطار الاسلام الذى يحرص أشد الحرص على التقريب بين الطبقات . . لكن هذا لم يكن يرضى الطبقة الرأسمالية التى كانت موجودة فى ذلك الحين ومسيطرة على العصر . . وعلى ذلك كنت قد رشحت نفسى ولم أنجح وكان الفرق بينى وبين الذى نجح عشرة أصوات أو اثنى عشر صوتاً فقط !

● **من كان أمامك مرشحاً فى الدائرة ؟**

- كان هناك ٧ أو ٨ مرشحين لا أذكر منهم سوى حافظ محمود وصاحب سينما وهبى وزهير صبرى المحامى وحمادة الطرابلسى . .

● **كلهم فطاحل ؟**

- نعم كلهم فطاحل . . ولكن أنا لم يهمنى وأنا أعتمد على أسلوبى فى الخطابة مع الأخوان وتقدمت وكنت أخطب وأشرح للناس ما أريد . . !

● من الذى نجح ؟
- نجح حمادة الطرابلسى . .
. . وأنا رشحت نفسى مرتين ولم أنجح . . ولهذا فقد أرسل لى ابراهيم عبد الهادى لأنه كان أميراً للحج . . فأرسل ليصالحنى لأن الانتخابات لم تكن واضحة . . وقد قال لى يومها أنا جايبك علشان أصالحك . . ووجدت أن أحسن حاجة أننا نتصالح أمام الكعبة وأنا رايح أميراً للحج فتذهب معى . . روح إلحق خد الحقنة بكره علشان نسافر مع بعض .

اغتيال حسن البنا . .

وسافر الشيخ إلى الحج وكانت له هناك ندوات وجلسات والتف حوله الأمراء والناس ليستمعوا إلى إلقائه فى الشعر وتفسيره للقرآن وأدب النبوة . .

ولكن القاهرة كان هديرها قد علا وجوها قد غلى . . وامتلأت المعتقلات بالإخوان المسلمين والذين خارج المعتقل منهم يروحون ويجيئون بين أسر المعتقلين يرعون أبناءهم وآباءهم من الشيوخ والطاعنين فى السن . . وبات فى كل بيت من بيوت مصر شاب أو رجل غير مطلق السراح . . وانكسر كثير من النفوس ولكن الذين كانوا بالخارج وضعوا أرواحهم فوق أكفهم . .

وكان صاحبنا مشغولاً مع إخوانه خارج السجون بتدبير أحوال أصدقائهم داخل السجون . . أما المرشد العام الشيخ الإمام حسن البنا فقد كان مطلق السراح . . ولكن كان لخبيئة أعدت له وليوم مصبوغ بالدم أحيك من أجله . .

وأردت أن أعرف كيف كان الرجل حينما قتل صاحبه وأنا أعلم مدى حبه وتعلقه به وإيمانه بقوة ما يحمل الشيخ المرشد من عبقرية وهضم لعلوم الدين . . وذلك الحب العجيب الذى جعل الشيخ الباقورى يبيع أغلى ما يملك وهى ساعة والده التى أعطاها له وهو قادم للدراسة بالأزهر . . فقد باعها لأن شيخه زاره ذات ليلة وطلب أن يأكل سمكا فباع الشيخ ساعة أبيه ليأتى لشيخه بالسمك الذى تمنى . .

أردت أن أستمع منه كيف سمع الخبر وكيف استوعبه وهو الذى سمع من شيخه المنام الذى رأى فيه نفسه يترك الدعوة . . قال وسحابة من الألم العظيم تظلل

وجهه الكريم النبيل :

- لقد توالت الأحداث وضاقت الأماكن بالإخوان المسلمين ومرشدهم الشيخ حسن البنا . . وامتلأت بهم المعتقلات ولكنهم تركوا الشيخ الإمام مطلق السراح ليسهل اصطياده . . كنت معه فى دار الشبان المسلمين نتحدث حديثه المعتاد الذى يحمل القلق على الإخوان والبلد . وكان دائماً فى تلك الأثناء يشعر باقتراب شىء لا يفسره ولا يهابه أيضاً وكأن الرجل أعد لهذا الاستشهاد . . وكنت معه على الباب ووقفنا فى انتظار سيارة تاكسى ولكن تذكرت أننى لا أملك إلا سبعة قروش فى جيبى وكنا فى ذلك الوقت مضطرين لإعانة الكثيرين من عائلات الأخوان . . واستاذنت لامشى حتى لا يحرج هو من أجر التاكسى وتوجهت لأركب القطار من محطة باب اللوق . .

وحينما وصلت إلى بيتى كان أستاذنا الشيخ دراز قد أنبأ زوجتى بخبر استشهاد السيد الإمام . . فوجدت زوجتى تجلس على سلم البيت وقد هزها الخبر وهدها هداً وآثار البكاء تصبغ وجهها فسألتها :

ما بك ؟

ألم تعلم بالخبر ؟

أى خبر ؟

ـ الأستاذ المرشد فى القصر العينى . . لقد أطلقوا عليه الرصاص . . وأنهرت بجانبها على السلم وأنا أردد : لقد نجحوا فى اغتياله .

وقمت إلى التليفون وجعلت أسأل عنه وحينما مات حسن البنا بكيت كما لم أبك أحداً من قبل . . وسأظل ما حييت أبكى فيه العظمة والعبقرية والتضحية والعلم الذى كان يعطيه للناس . . لقد كان حسن البنا أول دفعته فى دار العلوم وكان مرشحاً لبعثة فى انجلترا . مثل كل الأوائل ولكنه لم يذهب حتى يبقى فى مصر وبين أبنائها .

***

وخرجت به من أعنف منعطفات حياته حيث فقد الأستاذ المعلم الأخ السند .

● **قل لى يا مولانا ما هى علاقة الأخوان المسلمين بالضباط الأحرار ؟**

- أعرف أن الأخ كمال الدين حسين والأخ حسين الشافعى والمرحوم أنـور السادات . . كانوا على جهة اليقين متأثرين بالإخوان ويصرون على حضور دروس الثلاثاء ولكن القصة التى لا أنساها أبدا أننى حين وليت الوزارة فى عام ١٩٥٢ زرت دار المرحوم جمال عبد الناصر وكانت زيارتى إياه فى حجرة صغيرة على يسار الداخل إلى بيته ودعانى إلى الجلوس على كنبة صغيرة لا تحتمل أكثر من شخصين أو ثلاثة ثم قال لى :

هنا كان يجلس الامام الشهيد حسن البنا وأذكر أننى يومها قلت أرجو أن يكون مجلسى هذا مذكرا لك بما عسى أن تكون قد ضقت به يوماً من الأخوان المسلمين قال الرجل . لا وسترى يوماً أننى لم أكن عدوا للإخوان المسلمين .

- **من من الضباط الأحرار كان على صلة بك قوية ؟**

- فى الواقع أن الأخ الفاضل رشاد مهنا كان صديقاً لى وقد دعانى قبل الثورة لقضاء شهر رمضان فى العريش . . ولكن لم أذهب . . وبعد قيام الثورة وعندما ذهبت لأحلف اليمين نظر كلانا إلى الآخر وكأننا نقول . . كل كان فى طريقه وتلاقينا عند الثورة . .

الحوار السادس



الثائر فى سلة الثوار
شاهد على ثورة ٢٣ يوليو

فى ثورة ٢٣ يوليو يقف الباقورى شاهدا عليها وعلى أحداثها التى عايشها وشارك فيها . . ويروى الباقورى بداية صلته بالثورة والثوار . . ويكشف أسرارا جديدة لنا . . ما هى صلة الإخوان بالثورة ؟ ولماذا وافق على الاشتراك فى حكومة الثورة ؟ ولماذا اختلف جمال عبد الناصر ومحمد نجيب ؟ وما هو موقف أنور السادات فى مجلس الثورة ؟ وكيف كانت علاقة عبد الناصر مع زملائه ؟

إن الشيخ الباقورى يفتح صفحات الذكريات عن ثورة يوليو ــ ويروى أن الهضيبى ــ المرشد العام ــ طلب منه أن يدعو للملك فاروق ليلة ٢٣ يوليو حتى لا تنكشف الثورة . . وأن الأخوان كادوا يضربونه لأنه قبل الوزارة . . وأن نجيب طلب من عبد الناصر أن يسميها «نهضة» بدلا من «ثورة» . . وكان رد عبد الناصر : لا يمكن أن أكون عضو مجلس قيادة النهضة . . هذه ثورة ونحن ثوار . .

ليلة الثورة ..

فى حياة الإنسان ليال كثيرة متشابهه تكاد تكون توائم . . ولكن فى حياة كل منا أيضاً ليال يقف عندها الدهر وتترك بصمتها فى الذاكرة . . وكلما استدعيت أحسست أنك تعيشها تماماً . . ومهما مر العمر فإنها تلح عليك وتجىء إليك وتمحو غيرها . . وليلة ٢٣ يوليو بالنسبة لليالى مصر كانت الليلة الساخنة الحاضرة . . تلك الليلة التى لوت عنق التاريخ فى المنطقة كلها .

● . . والثائر دوما . . ترى ماذا كان حاله ليلة الثورة . . ؟

وكان هذا سؤ الى الأول لمولانا الشيخ الباقورى . . واعتدل الرجل فى مجلسه وأزاح العمامة إلى الخلف . . تماماً كما كان يفعل فى صدر شبابه . . وكأنها حركة تزامل الأحداث الهامة . . ثم قال :

ـ كنا فى درس الثلاثاء . . وكان مولانا المرشد حسن البنا قد لحق بالرفيق الأعلى وخلفه الأمام حسن الهضيبى . . وكنت مسئولاً عن «السنة» . . فقد كانت لنا أقسام ولكل قسم منها رئيس والقسم الذى كنت أشرف عليه هو أدب رسول الله فى الأحاديث النبوية . .

واضطررت لمقاطعته حتى نطل على جماعة الإخوان . .

● وما هى الأقسام الأخرى ؟

القرآن . . التاريخ . . التصوف . . وكان لكل من هذه الأقسام رئيس أو مشرف يجد فيه صلة عاطفية وعلمية وثقافية بما يضم القسم . . واخترت أنا قسم السنة . . أى سنة رسول الله صلوات الله عليه . . وتصادف فى تلك الليلة أن قام قائم يخطب فى مناسبة زيارة زائر من باكستان . . وقد تحدث الثائر باللغة الانجليزية . . وقام أخ مسلم يترجم من اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية . . وكان هو الأخ الأستاذ محمد المعلم . . كان يترجم من قلبه ولسانه . .

ومازلت أذكر الجملة التى افتتح بها ترجمة حديث الأمام الباكستانى فقد بدأها بقوله :

. . إننى أستطيع أن أترجم الكلمات التى سمعتموها من الانجليزية إلى العربية . . ولكنى عاجز أبلغ العجز عن أن أترجم العاطفة التى اشتملت عليها فى أثناء الحديث . .

وبعد أن انتهى كان المفروض أن أقوم وأعلق بحكم عملى . . وقبل أن أتهيأ للكلمة ، ألقى فى سمعى الأمام حسن الهضيبى أن أدعو للملك ولولى العهد . .

فعجبت . . لم يطلب منى هذا وهو المرشد وهو الأحق بهذه الكلمة . . لأننى لا أريد . . فأنا رجل من الذين لم يبلغوا مرحلة قوية فى هذا الباب . . فقد كنت وقتها شيخاً لمعهد المنيا الدينى . وبعد أن جلست قام هو فتكلم ثم جلس بجانبى وقال :

– العجيب أننى رفضت أن أقول ما دعوتك أن تقـوله . . «يقصـد الدعـاء للملك» . .

واستنتجت ليلتها أنهم كانوا يعرفون فى تلك اللحظات أن الثورة قد بـدأت تتحرك طلائعها الأولى . .

. . كانوا يريدون إذن عمل تغطية على الثوار بالدعاء للملك فى اجتمـاعهم هذا . . !

نعم . . وما أكثر التغطيات التى كنا نلجأ إليها لكى نستتر فى ظلالها بعيداً عن أعين البوليس السياسى . .

* * *

وقبل أن نناقش مع ثائرنا الشيخ علاقته بثورة يوليو تحسسنا طريقنا إلى موقعها فى نفسه . .

– الحقيقة التى لا ينبغى إغفالها فى هذا المقام . . إن المرحوم الرئيس على ماهر كان سياسياً داهية من الطراز الأول . . وكان صاحب الدولة محمد باشا محمود يخشاه ولا يطمئن إليه . . كما كان أيضاً الأمام الأكبر الشيخ مصطفى المراغى غير قوى الثقة فيه . . وحينما قامت الثورة واختاروا على ماهر رئيساً لأول وزارة توجسنا خيفة .

● **هل استدعاك الضباط الأحرار ؟**

- لا . . فقد فتحوا الباب لمن يريد . . فذهبت إليهم وفود من الإخوان المسلمين ولكنى لم أكن معهم . .

● **كيف بدأت إذن العلاقة بينك وبين ثوار يوليو وثورتهم ؟**

- العلاقة بدأت حينما كنت أهاجم على ماهر باشا فى مقالات نشرتها فى جريدة الأخبار . . وكان كامل الشناوى يقرأ بلغته الحلوة ونغمته الجميلة كلماتى فيطرب لها ويطرب الناس لها . .

● **وماذا كان عنوان أول مقالة ؟**

- الأزهر ومنطق الثورة . . وكنت أتجول فى تاريخ الأزهر فى تلك المقالة ثم أتبعتها بمقالة ثانية ثم ثالثة . . حتى أننى كتبت مقالاً لم ينشر إلا بعد أن عينت وزيراً . . وكان الأدب الجم لأخى وصديقى الأستاذ مصطفى أمين جعله يسألنى هل ننشر المقال الذى عندنا أولا لننشره فوافقت على النشر .

● **هل أرسلوا يستدعونك بعد هذه المقالات ؟**

- لا . . !

● **كيف التحمت إذن بثورة يوليو واستوزرت ؟**

- بعد نشر مقالاتى ضد على ماهر . . وكان هذا بعد قيام الثورة بحوالى شهر . . أى فى خلال أغسطس وفى أوائل سبتمبر . . كنت ذاهباً إلى الإذاعة لأسجل حديثاً هناك كنت أعددته لأهاجم فيه استغلال الفلاحين . . وفوجئت بأن دار الإذاعة مازالت محاصرة . . فقلت للحرس الذين حول الباب : إن عندى حديثاً أريد تسجيله ولكن أحدهم قال لى : أنت حتنصب علينا وتدخل هنا تعمل اللى أنت عاوزه روح يا عم شوف لك حتة ثانية بلاش لعب عيال . .

وكان صديقى بالاذاعة هو الشاعر محمود حسن إسماعيل . . ولم أجد أحداً يعرفنى فى الاذاعة . . فانصرفت عن التسجيل وكنت متعباً . . فجلست على قهوة «وبار الحرية» فى باب اللوق انتظارا للقطار لأذهب إلى حلوان . . وبينما أنا جالس إذا بأحد أبناء الامام الأكبر الشيخ مصطفى المراغى يتحدث إلى قائلاً : إن الإمام يريد أن يتحدث إليك . . فطلبته من تليفون قريب وقال لى . . نحن سعداء بك . .

وأحسست من الحديث أن هناك أمراً لم أعرفه تماماً ولكنه كان إحساس داخلى فقط . .

وألغيت فكرة الذهاب إلى حلوان وذهبت إلى صديقى المرحوم يوسف حسن عمر وهو صديق عزيز زاملنى فى قسم التخصص وتخرجنا معاً ثم تقدمنا لمدرسة الصيارف معاً ورفضنا فى يوم واحد أيضاً . . قلت أذهب إليه ونتحدث أقعد معاه شوية . . وهناك تغذينا .. فقد كنت جوعان جداً وإذا بعربة «جيب» ومع من فيها الشيخ دراز يبحثون عنى فى كل مكان . . حتى أنهم ظنوا أننى سافرت إلى المنيا . . خاصة أننى كنت قد نهرت زوجتى لأنها طلبت منزل رشاد مهنا وطلبت منها أن تعرف خبراً عن إبن مصطفى المراغى لأن والدها طلب منها ذلك . . وكنت قد غضبت غضباً شديداً لهذا الأمر . . المهم أن العربة الجيب حينما ذهبت إلى البيت وسأل من فيها عنى وقالوا إنى غير موجود . . لم يصدقوا وعرفوا مكانى بطريقتهم الخاصة التى لا يعجزها شىء . . عرفوا أننى فى القلعة عند يوسف حسن عمر وقد علم وقتها الشيخ دراز أننى مرشح للوزارة من «أخبار اليوم» وكان هذا اليوم هو الأربعاء ٧ سبتمبر بعد قيام الثورة بشهر ونصف تقريباً . .

واضطررت أن أقاطعه :

● **هل شعرت أن ثورة يوليو هى جزء مكمل لثورتك الدائمة ؟**

– كنت أعلم فى نفسى أن هذه هى الغاية الثالثة التى كان يقصدها المرحوم الأمام المرشد حسن البنا لأنك تعرفين أن ثورة الأخوان وصلب عقيدتهم هى ثلاثة أشياء تغيير العرف والطريق الدستورى ثم طريق آخر أى الثورة . . فإذن حينما تأتى الثورة إذن هذا هو الطريق الآخر . . وأنا عالم يومئذ أن هناك تشكيلات من الإخوان المسلمين فى الجيش . . وهناك تشكيل أخر منهم فى البوليس . . وإن مصر من أقصاها إلى أقصاها مجندة لفكرة الإخوان المسلمين . . ومادام الأمر هكذا فلابد أن يشترك الإخوان المسلمون فى الحكم . .

● **أكمل لنا الطريق إلى الوزارة !**

– وذهبت مع الشيخ دراز ومعى أخى الحبيب الذى لا أنساه موسى صبرى . . وقال لى موسى : مصطفى أمين وعلى أمين عاوزينك فى الأخبار . . فذهبنا إلى الأخبار . . وهناك قال لى أخى مصطفى أمين : الرئيس محمد نجيب كلف بتأليف الوزارة وهو يطلبك لمقابلته فى قصر عابدين الساعة ٦ .

وسألت مصطفى أمين : ما رأيك يا أخ مصطفى هل أقبل ؟

قال : طبعاً . . بالتأكيد بلدك تناديك !

● **كيف رأيت محمد نجيب لأول مرة . . الانطباع الأول عنه ؟**

رأيته رجلاً طيباً . . وكنت أسمع عنه من قبل منذ معركة انتخابات نادى الضباط التى وقف فيها أمام القصر متحدياً . . وهو رجل ذو سمعة طيبة بين الناس . .

● **ومن تذكر أيضاً من وزراء تلك الوزارة ؟**

– أذكر حسين أبو زيد . . وكان أحد رجال الحزب الوطنى القديم وقد ولى وزارة المواصلات وسليمان حافظ وزيراً للداخلية ونائباً لرئيس الوزراء . وفتحى رضوان وزير للدولة ، ونور الدين طراف وزيراً للصحة ، وقد قال لى قبلها أنه ذكر إسمى بين الضباط الأحرار .

● **ماذا حدث بعد أن حلفتم اليمين ؟**

– ذهبت إلى الأخ رشاد مهنا الذى هنأنى . . ولذلك لم أنزل معهم لأخذ الصورة التذكارية . . وقد حجزنى معه لنزور صديق متصوف يدعو لى ويوصينى وفعلاً نزلنا ولكنى قلت له : أرى من الأمانة أن نمر على المرشد العام حسن الهضيبى وأخبره بالذى حدث . .

● **ماذا كانت علاقتك بالإخوان بدقة فى ذلك الوقت ؟**

– كنت عضواً بمكتب الإرشاد . . وأنا أصلاً كنت نائباً لحسن البنا . . وكنت أمارس النيابة والإخوان فى ذلك الحين وقبل مقتل حسن البنا أرسل يستدعينى عن طريق أحد الأصدقاء . . وذهبت إليه فى داره فى حارة سنجر بالحلمية الجديدة . . فإذا بالرجل رحمه الله يجلس أمام طبلية عليها بعض الأرغفة وعليها طبق من الفول المدمس وملاحة وبصل . . والفول ليس فيه زبد ولا سمن ولا زيت فلم أقبل لأننا تعودنا أن نأكل الفول المدمس إما بالسمن أو بالزبد أو الزيت . . فلما رآنى غير مقبل على الطعام . . اتجه إلى الرجل منفعلاً متأثراً وقال . . الإخوان المسلمون فى معتقلاتهم جياع ولا أحب أن آكل طعاماً سخياً لذيذاً وهم جياع .

وشكرت له حقيقة لأنى تذكرت أن أمير المؤمنين عمر حرم على نفسه فى عام الرمادةأى دهون حتى أن لون جلده قد تغير من شدة التخشن .

ثم قال لى :

– أحب أن أخبرك خبراً وأنت عليه أمين مأمون وهذه الكلمة تخصنى دائماً . . فقد كان يطلق على الأمين المأمون .

قلت للإمام :

- أنا تحت أمرك .

قال أنا سأختفى . .

قلت : ماذا تعنى ؟

قال : أنا حاسس أننى سوف أختفى وأننى سوف أجد نفسى بعيداً عن مقامى هذا . قلت له : لا أكاد أفهم شيئاً . .

قال : أنا رجل أرى المنام ومنَّ الله على بأن يحدث كما أراه . . لقد رأيت رسول الله ﷺ يركب ناقة ومعه أبو بكر على الناقة . . وأنا أقودهم من زمامها . . وإذا هذا الزمام ينقطع من يدى فجأة ويأخذه من لا أعلم . . فأولت ذلك أننى لن أتابع الوصول إلى الغاية التى أريدها بالدعوة . . ولكننى أخذت على نفسى عهداً بأن نظل فى هذه الدعوة نتوارثها واحداً عن واحد حتى نلقى الله بحيث لا تنحل الدعوة . . فإذا أنا اختفيت فأنت مكانى . . إرع الإخوان واصنع ما يرغبون مما يقيم حياتهم . . ولكن على أن يبقى لك هذا الوضع إلى أن يخرج الإخوان من معتقل الطور . . فإذا خرجوا فهم أحرار عند ذلك أن يختاروا لهم مرشداً عاماً ، وهذا هو القدر الذى أريد أن أصرح لك به وآمرك أن تنفذه . . فمن هنا بدأت منصب المرشد العام للإخوان وهذا ما أردت أن الفت إليه قبل الوصول إلى مكتب الإمام الهضيبى لأعلن له أننى قبلت الوزارة . . وقد أكون أحق الإخوان بعضوية المكتب بل وبالمرشد العام للإخوان المسلمين . . من ذلك أن حسن البنا أوصانى أن أعتنى بأسر الإخوان المعتقلين . . وهذه وصية كان لابد أن أنفذها وأى واحد يغالبنى عليها لابد أن أغالبه . .

واستطرد يقول : نعود لرشاد مهنا ونحن خروج من قصر عابدين بعد حلف اليمين قال لى : تعالى معى . . عندى سيارة أوصلك بها . . ولكن بشرط أن أتركك على الباب لكن لا أصعد معك عند حسن الهضيبى . .

قلت : وهو كذلك !

وصعدت إلى حسن الهضيبى ودققت الباب وفتحوا لى . وإذا بعض الإخوان قد عرفوا وكانوا قد أرسلوا وفداً للاشتراك فى الوزارة ولم أكن من هذا الوفد . . وإذا بالضباط الأحرار يختارون الشخص الذى ظنوا أنهم سينتفعون به .

* * *

● **طبعاً مقالاتك التى هاجمت فيها على ماهر باشا مهدت لك . . وثورتك فى الأزهر قبل ذلك أيضاً !**

قال مفسراً :

– لقـد كان أهم مـا طالبت بـه فى مقالاتى للثـوار عدم استغـلال الأغنيـاء للفلاحين :

● **هذا يعنى قانون الإصلاح الزراعى . .**

– تماماً ولكن من غير النص . . المهم أننى دخلت إلى الأستاذ الهضيبى وقلت له : سيدى لقد جئت الليلة لأبلغك أننى قبلت الوزارة قال : لماذا ؟

قلت : قبلت الوزارة لأننى قرأت عن الإمام حسن البنا كلمة لا أنساها . . كان يقول الحكمة ويضرب بالمثل . .

قال : وما هى الحكمة ؟

قلت : إن الله يصلح بالسلطان ما لا يصلح بالقرآن . . فإذا اجتمعت القوة التنفيذية للآية الكريمة من كتاب الله أو الحديث من أحاديث رسول الله كان ذلك أمضى بما نريد أن نصلح به . . هذا واحد . .

الأمر الثانى . . أنه كان يضرب المثل دائماً بواحد كان فى رمضان يولع السيجارة ويفطر . . فلما جاء وزير يأمر بالصيام صام . . فالقوة لابد منها ليس بالضرب على الأيدى ولكن للارهاب والتخويف . . هذا والإمام حسن البنا وضع فيـها وضع «وطريقة أخرى معزوفة» وإنما فهمت من الطريقة الأخرى أنها ثورة وبما أن الذين قاموا بها ضباط أحرار مقدورون أنا رأيتهم ولعلك أن تكون قد رأيتهم فيكون فى هذه الحال من الخيانة للوطن أن أتخلى عنهم ولا أستجيب لدعوتهم . . وقد سألت صديقاً عزيزاً علىّ فنصحنى أن أقبل الوزارة فقبلتها . .

وأردت أن أستوضح بعد هذا الشرح الوافى نقطة هامة للتاريخ . .

● **هل كان هناك صراع بينكم وبين الهضيبى ؟**

قال ينفى بشدة :

– لا . . الرجل كان راضيا غاية الرضا لأننى بعد أن أسمعته هذا الحديث قال لى : اسمع ياشيخ باقورى . . أنت تعرف أنى أقدرك وأحبك وهذا واقع لا ريب فيه . .

وأردت زيادة فى الإيضاح أن أسأل : وباقى أعضاء مكتب الإرشاد . . ماذا كان موقفهم ؟

قال الذى يرسم حياته باللوحات :

ــ كانت صورتهم هكذا . . بعضهم نائم وواضع رجل على رجل وبعضهم مبوز وبعضهم كاد يشتمنى وبعضهم يكاد ينهال على ضربا . .

● من تذكر منهم ؟

ــ حسن العشماوى رحمه الله ومنير الدله وغيرهما . . ثم قال حسن الهضيبى : ياأخ أحمد . . أكتب لنا ورقة تستقيل فيها من الأخوان المسلمين حتى لا تحمل أوزارنا ولا نحمل أوزارك .

● ولكن هذا تعسف منهم . .

قال صاحب السماح الدائم :

ــ لا . . هو له وجهة نظر مع الإخوان وأنا لا أتهمه بالتعسف أبدا . .

● أنت تقدس الحرية !

قال موافقا :

ــ نعم . . أنا أعطى له حريته . . سألته بعد ذلك : ماذا اكتب ؟ قال الإمام الهضيبى : أكتب الذى تكتبه !

قلت : لا . . أكتب ما تمليه علىّ وأرجو ألا نكون مثل تلميذ الجاحظ . فظن أنها سخرية . . وقال : ماذا تريد بتلميذ الجاحظ ؟

قلت : الجاحظ أديب العربية الأكبر كان يقول : لى تلميذ أملى عليه فيسمع غير ما أملى ويكتب غير ما يسمع ويقرأ غير ما يكتب . . فضحك رحمة الله عليه وقال : أكتب أنت وأرحنا حتى لا يكون هناك جاحظ ولا تلميذ جاحظ . .

فكتبت هكذا :

السيد/المستشار حسن الهضيبى

المرشد العام للإخوان المسلمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فإننى أرجو أن تقبل استقالتى من مكتب الإرشاد العام للإخوان المسملين »

قاطعنى الهضيبى وقال قبل أن أوقع : لا مش بس كده ؟

قلت : وماذا تريد إذن ؟

قال : أضف إلى الاستقالة هذه الجملة :

« ومن جميع تشكيلات الإخوان المسلمين فى الشعب والأقاليم »
قلت : حاضر وأضفت هذه الجملة :
« ومن جميع مؤسسات الإخوان المسلمين فى مختلف الشعب وسائر المؤسسات التى فيها مراكز للإخوان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص
أحمد حسن الباقورى
عضو مكتب الإرشاد سابقا

وأغلقت معه صفحة الإخوان . . الصفحة فقط ولكن روح الدعوة تعيش مع الرجل الثائر منذ لقائه الأول مع الشيخ حسن البنا . . أغلقت معه فقط الصفحة حتى نصل حديثا انقطع عن اللقاء مع الثورة والثوار .

● **هل يمكن أن تقيم لنا شخصية محمد نجيب بعد أن رأيته ؟**

قال وهو يعبر عن شخصية الرجل رغم اختلاف نوع الثورة تماما :
ــ الحقيقة أن الرئيس محمد نجيب كما قلت رجل طيب القلب . . والرجل الطيب القلب لا يستطيع أن يقود ضباط أحرارا لهم أهداف بعيدة قد لا يوافقهم عليها . . إنه يستند إلى عسكرية قديمة تقوم على السمع والطاعة جنديا وقائدا . . أما إخوانه فهم ليسوا كذلك . . فهم قوم من الناس يريدون أن يأمروا فيطاعوا والعيب فى هذه المر ة أنها جاءت من فوق ولم تجىء نتيجة تربية وإعداد كما يقول المرحوم عبد الناصر نفسه . . ولكنهم ثوار فرضوا ثورتهم على الشعب وفرق بين أن تنبع الثورة من الشعب وبين أن تفرض الثورة على الشعب .

* * *

وكان كلام الرجل تحليلا جديدا لمفهوم ثورة يوليو . . هذا التحليل جعل سؤ الى يفرض نفسه :

● **هل أحسست أن هناك فجوة بين محمد نجيب وبينهم ؟**

قال الذى عايش الثوار وهم يبحثون عن أرض صلبة يقفون عليها :
ــ نعم . . كانت هناك فجوة بينه وبينهم وهذه الفجوة كانت وليدة الفارق

الكبير فى معنى الثورة . . على سبيل المثال . . قال اللواء محمد نجيب : لنترك كلمة ثورة ونستبدل بها كلمة نهضة . . وهنا ثار جمال عبد الناصر بحدة شديدة وقال :

« أنا لا يمكن أكون عضو مجلس قيادة النهضة . . إحنا أعضاء مجلس قيادة الثورة . . ياسيادة الرئيس . . هذه ثورة ليست نهضة إذا كنت تريد نهضة شوف لك ناس تانيين غيرنا » . .

وهذه كانت كلمة جمال عبد الناصر التى لا شك فى أنها كانت نابعة من قلبه . . وكانت تعبر عن طبيعته وتصرفاته أقوى تعبير . .

وبرز سؤال آخر حتى نكون منصفين فى حوارنا لكل الثوار :

● **هل كان معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة مختلفين مع الرئيس نجيب أم عبد الناصر فقط ؟**

قال وهو يصر على الدقة فى القول :

ــ عبد الناصر كان أبرزهم عنادا له وحرصا على تقويمه لأنه كان فاهما أن محمد نجيب ينتمى ولو باطلا لمؤسسة قد ينتفع بها وقد تنتفع به على حساب الثورة . .



● **متى أحسست بانكسار العلاقة بين نجيب والثوار ؟**

إنتظر قليلا قبل أن يسترسل قائلا :

ــ ليس من السهل أن تظل المودة والوئام بين مختلفين على هذه الصورة الأساسية . . صورة تعبر عن الاصلاح بنهضة . . وهى أخف صور العمل على الاصلاح . . وقل أن يجتمع اقوى الصور مع أضعف الصور . . ولذلك لم يكن بد من أن يجىء يوم يختلف فيه الرئيس محمد نجيب مع زملائه الضباط بقيادة جمال عبد الناصر . . وقد حدث هذا حينما أخرج الرئيس محمد نجيب كتيبا شهيرا بعنوان « مصير مصر » !

وهذا الكتاب يكاد يكون هجوما على الضباط الاحرار وكان مكتوبا بلغة أعتقد أنها ليست لغة اللواء محمد نجيب . .

● **من تظن إذن كاتب الكتاب ؟**

قال وهو لا يريد أن يدخل فى متاهات ربما أضاعت منه الخيط :

ــ والله الظن هنا سوف يؤذى بعض الناس ولذلك سوف أتركها للتاريخ . .

وهذا الكتاب عندى وأنا حريص على أن يظل فى مأمن عن أيدى الآخرين والمتربصين والسارقين . .

* * *

هل كانت الوزارة هى آخر طموحات الشيخ الثائر ؟

هل كانت الوزارة هى الطريق السريع لتحقيق أحلامه فى التغيير ؟ . . لقد استطاع أن يربط بين ثورة يوليو والطريق الثالث لدعوة الاخوان المسلمين ولكن كان لابد من هذا السؤال :

● هل الوزارة فى رأيك هى جزء تنفيذى لثورتك ؟

قال وقوله يوثقه فلسفته :

ــ لابد من الإيمان الوثيق بأن القوة التنفيذية قوة السلطان فى اليد إلى قوة القرآن فى الوجدان هى أقوى ما يمكن أن يعتمد عليه المصلح لاصلاح المجتمع الذى يريد إصلاحه وقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاما فى مكة يدعو إلى الإصلاح دعوة بينة المعالم خفاقة الأعلام . . يتبدى الخير العميم فيها للذين يأخذون بها والذين يعرضون عنها من قريش ومع ذلك لم يصل إلا إلى القليل مما أراد صلى الله عليه وسلم . . فلما هاجر من مكة إلى المدينة وأقام دولة المتقين فى المدينة المنورة تغيرت الحال وبدأت الدعوة الإصلاحية تمشى بخطى وئيدة ثابتة حتى أوشكت أن تعم العالم . . فلا ريب فى أنه إذا ظاهرت الثورة المادية أو قوة السلطان قوة القرآن فى الدعوة فتلك هى غاية الغايات فى الإصلاح . .

وكانت هذه هى الغاية العليا التى كان يتحراها قائد دعوة الإخوان المسلمين وإمامها ومرشدها الشيخ حسن البنا . . ومن أجل ذلك كنت حريصا على أن أتقلد منصب الوزارة لا لأمل فيها ــ لأن لها بريقا يقينا ــ لكننى لم أقصد إطلاقا إلا أن أكون وفيا للدعوة التى نشأت فى أحضانها . .

منصب شيخ الأزهر

ولا أعتقد أن طموحات الشيخ الثائر لم تطف يوما ــ قبل أن يصول ويجول فى الحقل السياسى ــ حول مشيخة الأزهر وكان هذا قلب سؤالى :

● **هل كانت الوزارة منصبا لتحقيق خططك فى الاصلاح أكثر من منصب شيخ الأزهر مثلا ؟**

ـ لا ريب أن النظر إلى الوزارة بما فيها من سلطان وإن كـان سلطانا أدبيـا أو إرشاديا عن طريق المساجد أو سلطانا عن طريق رفع الضيم عن الفلاحين ورفع الضيم عن مستحقى الوقف الأهلى . . كانت وزارة الأوقاف بهذه الإعتبارات شيئا عظيما بلا ريب وأمكن للإنسان أن يفعل ما يريد ولكن مشيخة الأزهر من الصعوبة بمكان . . لماذا ؟

. . لمنطق التجربة . . فإن شيخا من شيوخ الأزهر لم يهدأ له بال ولم يستقر له قرار لشدة ما حيك حوله من متاعب ودسائس ومؤامرت . . وقد تمثل لى حينها اقترح المرحوم اسماعيل القبانى على من أخى عباس عمار والأخ فؤاد جلال رحمة الله عليهم أن أخذ منصب مشيخة الأزهر تمثلت شيوخ الأزهر الذين ضـاق بهم الأزهريـون وضاقوا هم بالأزهريين فلم ينفعوا أنفسهم ولم ينفعوا المسلمين . .

ولذلك زهدت فى مشيخة الأزهر رغم أنها عرضت على أكثر من مرة وآثرت عليها وزارة الأوقاف . .

* * *

كانت العمامة وصاحبها أمرا عجيبا بين « كـابات » الضبـاط . . كانت كـما المطوقة بين الألوان الكاكى . . كان ثائرا ولكنه تحت العمامة . . وكانوا هم ثوارا من تحت السلاح . . وصاحبنا دائما يقظ يتأمل ويعطى رأيا فيما يرى . . وبعـد مرور واحد وثلاثين عاما أسأله عن رأيه فى هؤلاء الأحرار الذين ثاروا . .

● **كيف سارت العلاقة بينك وبين أعضاء مجلس قيـادة الثورة ؟ . . أنـور السادات مثلا قابلته معتقلا ثم قابلته حاضنا نتيجة كفـاحه . كيف رأيتـه ثائـرا وعضوا فى مجلس قيادة الثورة ؟**

وتأملوا معى كلماته جيدا فهو يرسم صورة عمرها ٣١ عاما :

ـ أنور لم يتغير كثيرا بالنسبة لى لأنه يعلم أننى كنت أحبه لدماثة أخلاقه ولحبه الشديد للقراءة ولحرصه الشديد على المعرفة . . ولأنه رجل يحترم الواقعية . . إلى جانب ذلك كله كان العيب الوحيد فيه أنه كان يحب أن يـرى نفسه فـوق الذين يصادقهم دائما . . وهذه مسألة قد تضيق بها صدور بعض عارفيه فإن التواضع خير ما يتحلى به الرجل الكبير . . أنور كانت فيه فضائل كثيرة ولكن المعنى المتعب فيه أنه

كان دائما يجب أن تكون كلمته هى الكلمة المسموعة . .

● **وخالد محيى الدين . . ماذا عنه ؟**

ــ الحقيقة أن كثيرا من الناس لا يعرفون أن خالد محيى الدين له جد صوفى ولعل فيه نزعة صوفية . . لست على وجه اليقين ولكن أنا مؤمن بنظرية الوراثة . .

إن جده لأمه كان إسمه محمد العاشق وكان له ضريح فى التكية التى كانت موجودة فى شارع الخليج . . وحينما أردنا أن نهدم التكايا جاء لى فى وزارة الأوقاف وقال لى : جدى مدفون هنا وأرجوك بلاش تهدم التكية وتبنى عمارة !

فقلت له : اهدمها وابنى عمارة وأقيم لجدك ضريحا ومسجدا صغيرا فى أسفل العمارة . . والشيخ محمد العاشق جد خالد محيى الدين لأمه هو رجل من المتصوفين الأتقياء . . خالد مهما قال الناس فيه أن له صداقات فى الاتحاد السوفيتى أو فى الصين فإن فيه جانبا إنسانيا رائعا وعظيما . .

● **وما رأيك فى عبد اللطيف بغدادى ؟**

ــ عبد اللطيف بغدادى رجل مهذب شديد الأدب . . لولا أنى أذكر ذات يوم فى مناقشة فى مجلس الوزراء حول إلغاء الترام وإلغاء قطار الدلتا . . فقلت له : إن إستبدال الترام بالأتوبيس سيحرم الفلاحين الغلابة الذين يركبون ومعهم جبن وزبد وفراخ . . إن هذا الالغاء لا يتفق مع غايات الثورة التى من شأنها أن ترفق بالشعب . .

فقال لى : أنا أستطيع أن أعمل قانونا أمنع به دخول الحاجات دى إلى القاهرة سواء كان بالترام أو بالأتوبيس كان يقول كلماته عن رأى ولكن فى ذات الوقت مؤدب مهذب . . أخذ عليه أيضا أنه هدم بليل كثيرا من الزوايا لكى يفسح مجالا للشوارع ينتفع بها فى القاهرة . . وقد كان لهذه الزوايا خيرات وكانت عليها أوقاف فزالت وكان من الممكن أن ينتفع بها الناس . .

● **وما رأيك فى زكريا محيى الدين ؟**

ــ زكريا رجل دقيق لين الملمس ولكنه بعيد النظر يجب أن يصل إلى أغوار الأمور . . ومثل هذا قد يضيق كثيرا من الذين يزاملونه فى عمل من الأعمال . .

● **وكمال الدين حسين ماذا تقول فيه ؟**

ــ كمال الدين حسين . . الجانب العسكرى فيه أقوى من الجانب المدنى . .

ولكنه رجل مؤمن يخشى الله وفيه تقوى وحرص على الإسلام . .

● وحسن ابراهيم . . ؟

ــ حسن ابراهيم رجل لطيف المعشر دقيق الحاشية مهذب الكلمات !

وأنا أؤكد للتاريخ أن كل أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا مجموعة قل أن يوجد ما يفضلها . من خيرة الرجال عبر تاريخ مصر . . وهنا يحضرنى ما قالته امرأة عربية حينما سئلت : من كان أكثر أبنائك فضلا ؟ فقالت المرأة : كان أبنائى كلهم فضلاء . . يتسابقون إلى الفضائل الاجتماعية فلا يسبق أحد أحدا منهم . . مشكلتهم إن قلت أيهم أفضل . ثم قالت : هم كالحلقة المفرغة من الحديد أطرافها اتصلت ببعضها وليس لها أول من آخر . .

* * * *

● وصلاح سالم ؟

ــ صلاح سالم صحبته فى رحلة السودان ولكنه لم يعجبنى فى التعامل مع الناس !

● هل كان عصبى المزاج

ــ . . نعم . . كان عصبيا . . وكان يحرص على أن يرى نفسه فوق المدنيين شديد الاعتزاز بالعسكريين . . ويرى أنهم أصحاب الفضل الأول فى الثورة مع أن جمال عبد الناصر رحمه الله لم يكن يرى هذا . . وكان يقول إن المدنيين مكملون للعسكريين لأن المدنيين يتكلمون باسم الشعب والعسكريين يتكلمون باسم الجيش . . وقوة الجيش وحدها بغير مساندة قوة الشعب لا تعنى قليلا ولا كثيرا .
صلاح سالم كان يحرص على أن يكون دائما معتزا بالقوة العسكرية . .

● وجمال سالم ؟

ــ كان جمال رحمة الله شديد التعصب لرأيه لا يبالى أن كان حقا أو باطلا .
مثلا كان هناك رجل يعمل فى التليفونات إسمه متولى . . وكانت له آراء شاذة الفقه فكان جمال سالم يأخذ هذه الآراء الشاذة فإذا لفت نظره إلى ذلك لم يلتفت .
ولكن كانت فيه فضيلة . . كان إحساسه بالشعب عميقاً جداً . .

● والمشير عبد الحكيم عامر كيف كانت شخصيته ؟

ـ عبد الحكيم عامر . . إنسان نشأ فى أسرة غنية جدا . . وأولاد الأغنياء عادة يحرصون على أن ينتفعوا بأمثالهم . . ولذلك كان يحرص عبد الحكيم عامر دائما على أن يوثق صلاته بمن يرى أنه قادر على الانتفاع به . .

● كيف ؟

ـ كل إنسان له جاه وله أسرة يحاول عبد الحكيم عامر أن ينتفع به ولا يفرق بين اتصاله بالثورة وعدم اتصاله بها وإيمانه بها أو عدم إيمانه بها . . لا ينظر إلا إلى نفسه فقط . . كذلك كانت له نظرية خاطئة . . فإنه يرى أنه بالجيش أقوى من جمال عبد الناصر بالشعب . . وهذا كان أقوى خطأ وهو الذى جعل الموقف ينفجر إنفجارا هز الثورة . .

● وحسين الشافعى كيف تراه ؟

ـ حسين الشافعى كان رجلا طيبا . . الروح المدنى فيه أبرز من الروح العسكرى . .

* * *

● ماذا أخذت ياسيدى من الثوار وماذا أخذوا منك ؟

وقال وكأنه يحتفل بعيد من أعياد الحصاد :

ـ أعتقد أننى أخذت منهم أشياء لا أستطيع إحصاءها . . ولابد أن أكون قد أخذت لأن تبادل المنافع صورة من أعز الحياة وأصدقها . . لكننى أعطيتهم نتيجة تجاربى حين كنت زعيما لثورة الأزهر وحينما كنت داعية للإخوان المسلمين . . وكنت أتقدم دائما أمام المتحدثين من رجال الثورة وشعبنا شعب عاطفى يؤمن بالدين ويعشقه ويحبه ويأنس للمتحدثين به . . فكانت مهمتى أن أخطب قبل أن يخطب جمال عبد الناصر . . فتلين القلوب وتستعد النفوس لقبول الكلام . . فإذا جاء بعد ذلك عبد الناصر يخطب وجد الأرض ممهدة والطريق مسلوكا . . فأستطيع بغير أن أظلم فى الحق والتاريخ أن أقول إننى أعطيت الثورة أعز وكل ما أملك من تجاربى وقدراتى وإن أخذت فقد أخذت تجاربهم واتعظت بمواقفهم الماضية فتجنبت الأخطاء التى وقعوا فيها . . وتجنبوا هم الأخطاء التى وقعت فيها .

الحوار السابع



أزمة الوزراء المدنيين مع ضباط الثورة
.. ولماذا قدموا الاستقالة الجماعية ؟

وتمضى ذكريات الباقورى . . عن الثورة والثوار . .

وتروى تفاصيل أحداث مثيرة . . تروى قصة ثورة الوزراء المدنيين فى أول وزارة برئاسة محمد نجيب . . وكيف قدموا استقالة جماعية . . وكيف غضب عبد الناصر لا شتراكى معهم ؟ وتمضى الذكريات إلى رحلاته العديدة مع قادة الثورة فى الداخل . . وكيف فوجىء عبد الناصر بهتافات الأخوان المسلمين وهم يحملون المصاحف . . ثم تنتقل الذكريات لتروى تفاصيل لقاءاته مع الملك عبد العزيز والأمير فيصل وماوتسى تونج . . وتمضى الأيام بصحبة قائد الثورة . . وتتعدد الأحداث . . وتمتلىء المساحة بين الشيخ وعبد الناصر . . بالسحب الداكنة . . وينتهى بلقاء حزين . . كان من أصعب اللقاءات فى تاريخ الرجلين معاً . .

قبل أن ندخل فى دائرة الفراق بينك وبين عبد الناصر لنراقب ما انقطع من صلتكما . . وقبل أن ندخل فى دائرة الانفصال عن الثوار لابد أن نأخذ منك ملامح الثوار الأخيرة التى اختزنتها وعن زعامة محمد نجيب . . ماذا عن هذا الرجل الذى حكم مصر مع بدء الثورة ؟ . . وعن علاقة الناس به ؟

وقال الشيخ الباقورى :

ــ لاأجد أصدق مما قاله أحد الصحفيين الأمريكيين فى وصف علاقة الناس بمحمد نجيب . . قال :

إن جماهير الشعب المصرى كانت قلوبهم متعلقة بقبعة محمد نجيب وأصبح بينهما اتصال كهربائى . . كلما حركها لهم ازدادوا هتافا له . .

وكان تعبيرا عجيبا إلى حد كبير ولكنه صادق . .

وخطر لى سؤال طغى على عقلى عن خلاف عبد الناصر ونجيب وأزمة مارس المشهورة فى عام ٥٤ .

○ هل كان يباشر محمد نجيب مهام منصبه كرئيس مثلا . . وكيف كان ينتزع السلطة من بين مخالب الثوار ؟

ــ كان يباشر مهام منصبه مع زملائه من رجال الثورة وذاك أمر طبيعى لأن هؤلاء الثوار اشتركوا فى الثورة ولا يستطيع الرئيس نجيب أن يتصرف وحده . . كانوا يحاسبونه فى أحيان كثيرة على بعض تصريحاته وكان كما أبلغنا فى أكثر من مناسبة يجلس على كرسى أسماه (كرسى الاعتراف) ويقول عن نفسه أنه أخطأ فى كذا وكذا وأنهم يجب أن يحاسبوه فى هذا بغاية الصراحة والصرامة والصدق . . هذا ما سمعته بنفسى من الرئيس محمد نجيب . .

● هناك وقفات هامة فى حياتك وزيرا . . منها أنك حملت استقالة الوزراء المدنيين إلى محمد نجيب . . كيف ولماذا ؟

قال الباقورى :

ــ قصة الاستقالة أن الوزراء المدنيين كانت تحكمهم غلطة فى رءوس بعض إخواننا العسكريين الذين كانوا يفرقون بين المدنيين والعسكريين وكأنهم هم أصحاب السيادة بحكم أنهم ثوار وكان المدنيون لا يرون أنفسهم أقل نصيبا فى مناصرة الثورة سواء قبل قيامها أم بعد قيامها من الضباط الأحرار . . فهذه الحساسية الشديدة جعلت فى كثير من الأحيان الأعصاب مشدودة . . وفى ذات يوم التقينا فى

دار الدكتور نور الدين طراف وتداولنا الحديث فيما بيننا فأجمعنا على أن نقدم استقالة جماعية من الوزارة .

واقترح بعض الأخوة فى هذا الإجتماع أن يكون حامل هذه الاستقالة إلى الرئيس محمد نجيب هو وزير الأوقاف . .

وأخذنا الاستقالة وذهبنا إلى الرئيس نجيب وكان ينزل فى ذلك الوقت فى مينا هاوس لأنه كان هناك بعض الضيوف الأجانب وكان ينزل معهم فى هذا الفندق ورحنا نسابقه ونلاحقه ولكن قبل أن أسلم الاستقالة للرئيس نجيب رأيت أن أتصل بالمرحوم الرئيس جمال عبد الناصر بالتليفون واتصلت به فعلا وكان مستنكرا هذا استنكارا شديدا وقال لى بلهجة العاتب :

ـ نحن نعتبرك واحدا منا فلماذا تشارك الآخرين فى مثل هذا العمل ؟ فالحقيقة أننى تأثرت لهذا تأثرا شديدا ومع ذلك فإننى ذهبت إلى الرئيس نجيب وسلمته الإستقالة ولكنا أمرنا من قبل الرئيس عبد الناصر بأن نعود وأن ننبه على كل الذين وقعوا على الاستقالة أن يعودوا غدا إلى مناصبهم كما كانوا لأنه لا معنى لهذه الاستقالة . . وهكذا إنتهت الأزمة وعدنا كما كنا إخوة متعاونين لما فيه خير مصر . .

* * *

ولم تكن جولات الشيخ الباقورى مع الضباط الثوار تمر عادية على الأحداث بل كان لها وضع فى إطار النظرة العالمية للثورة وكان المراقبون الدوليون يدرسون إستقبال الناس فى الأقاليم لثوار يوليو ويقول الشيخ الباقورى :

ـ قطعا كانت زيارات عبد الناصر وضباط الثورة للشعب فى الأقاليم تعطى إنطباعا للذين يراقبون الأحداث من قريب أو بعيد وهذا الانطباع كان يتكون قلة وضعفا وقلة وكثرة وإقبالا وإدبارا بمقدار صورة الاستقبال الشعبى للزعيم أو لوقت الثورة سواء كانوا عسكريين أم مدنيين .

وكنا كلما وصلنا لمكان تستقبلنا الوفود مهللة مرحبة ونتوقف لنخطب ونتحدث ونناقش ونبشر بأفكار الثورة . . إلا مرة واحدة كانت غير مقبولة حيث استقبل الإخوان المسلمون ركب التحرير فى إحدى المحطات وهم يرفعون المصحف وكأنهم يقولون نحن أحق بهذه الثورة منكم . وكانت هذه الصورة قد أثارت الثوار وخصوصا الذين لا يحبون مثل هذه الأساليب وأنا منهم لأنه لا ضرورة إطلاقا فى مبلغ علمى لمقاومة الحكم والوقوف فى وجهه خاصة إذا جاء بالحق ثائرا على وضع

خاطىء وخصوصا أن ثورة يوليو قامت فى ظل وافر من تأييد شعبى ومن إعتزاز صادق بقوة الجيش حتى أن الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله ثار ولم يستقبل وفود الإخوان المسلمين بالصورة التى كان ينبغى أن يستقبلوا بها ولكنه كان ثائرا فصنعنا كل ما نستطيع فى هذا السبيل لكى نهدىء من الغضبة سواء تهدئتها فى نفس إخواننا الذين يعتزون بالثورة أو فى نفس الإخوان المسلمين الذين كانوا يحبون أن يستولوا عليها . .

* * *

وكما سار الشيخ مصر كلها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب فإنه قد وسع الخطى أيضا إلى خارج مصر . . لقد كانت رحلات الشيخ رحلات عجيبة جمع فيها بعينين وأذنين أكثر مما قرأ ألف قارىء . . لقد كانت رحلات الشيخ خلال الناس أيضا ولنبدأ سؤ النا بالناس .

● رحلت خلال شخصيات كثيرة لملوك ورؤساء وعلماء نريد أن تلقى لنا بعض الضوء على بعض الشخصيات التى لقيتها وتركت أثراً فى نفسك ؟ . . عاهل السعودية الراحل الملك فيصل ماذا رأيت عنه وفيه ؟

ــ لقيت الملك فيصل قبل أن يلى الملك . . لقيته أميرا للحج عام ١٩٥٢ وأذكر أول مقابلة جيدا فقد ذهبت مع أعضاء بعثة الشرف وأنا أحمل الخطاب التقليدى لأعطيه للملك عبد العزيز وكان من رئيس الجمهورية الرئيس محمد نجيب وكان الملك يقطن بيتا متواضعا فى الرياض وكان قد مرض مرضا لا يتمكن معه من القيام على قدميه وقبل أن ندخل رأيت شابا يقف بالقرب من الباب . . كان شابا خجولا سمحا وأعجبت ببساطته وحينما اقتربنا منه تقدم إلينا وقال :

ــ تسمح دقيقة ؟

ــ تفضل . .

فقال بصوت خفيف يوجه الكلام إلى :

والدى مريض ولا يقوم لأحد لأنه لا يستطيع القيام فإذا دخلت عليه وصافحته وأعطيته الخطاب ولم يقم لك فلا يكن فى صدرك حرج . .

أمام هذه الكلمة النبيلة من أمير جليل يروعك منظره ويعجبك أدبه يؤثر فيك صوته المنفعل للإشفاق على والده حتى لا نتأثر بأى موقف آخر .

ودخلت الدار وإذا بالرجل يجلس على كرسى ومن حوله يجلس العلماء ورجل فى يده كتاب ويقرأ بالطريقة السعودية ما فى هذا الكتاب . « قال رسول الله . . . وهكذا حتى قضى الوقت المضروب له . فقال وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . وذلك يكون إعلانا بانتهاء الزيارة وحينها دخلت بهذه العاطفة التى لقينى بها الأمير فيصل انحنيت وسلمت على الرجل وقبلت يده ثم أعطيته الخطاب فسلمه للرجل الواقف خلفه .

وعند الباب إذا عينا الأمير فيصل قد امتلأتا بالدموع ثم تقدم إلى يقول : شكرا لك ياأخ باقورى على هذا التصرف الكريم وقد أثر فيه الموقف أعظم تأثير وكان الرجل بلا ريب رجلا شريف النفس كريم الأخلاق . .

● والملك عبد العزيز كيف رحلت إلى شخصيته ؟

ــ الملك عبد العزيز كان رجلا بدويا لم يتأثر بالحضارة يحسن لقاء الناس ويحسن الانصات إلى ما قال الله وقال الرسول ويجمع حوله أهل العلم . . وهذه كلها معان تدل بلا ريب على عظمة هذا الرجل الذى أسس المملكة العربية السعودية صانها الله وحفظها .

* * *

● هل هناك مواقف حضرتها تدل على عقلية سياسية للملك فيصل وهذا ما عرف عنه بالفعل ؟

ــ طبعا هناك مواقف كثيرة للفيصل سواء فى السعودية أم خارجها ولكن الموقف الذى لا أنساه هو ثانى مرة أقابله فيها وكنا فى الطريق إلى باندونج عام ١٩٥٥ وكان هو رئيسا لوفد بلاده إلى المؤتمر وكان قد جاءنى وزير الشئون الدينية فى باندونج وقال لى أقدم لك دعوة من الوزارة لتخطب الجمعة فى المسجد الكبير بمدينة باندونج وأرجوك ألا تعتذر فإنك أزهرى وعنوان على الأزهر والناس هنا يستمعون إلى خطبتك كل أسبوع عن طريق الاذاعة .

ولم يكن بد لمثلى من أن يستجيب لهذه الدعوة الكريمة فقبلت . . والذى دعانى إلى القبول أيضا أن صاحب هذه الفكرة قال لى إن رجلا عسكريا جاء إلى هنا وخطب الجمعة بملابسه العسكرية وهو الضابط محمد أنور السادات فإذا خطب ضابط بالبدلة العسكرية وأنت تعتذر عن الخطبة فهذا يكون عيبا علينا جميعا نحن المسلمين فى هذا البلد وأنت إذا خطبت فسوف ترى أن مدينة باندونج وما حولها سوف يضيق بها

المسجد وما حول المسجد . .

وكان أعضاء البعثات يدعون كل يوم فى حفل سفارة من السفارات المختلفة فى باندونج وقد دعانى سفير المملكة العربية السعودية إلى حفل استقبال رئيس الوفد السعودى فى باندونج وكان هو الأمير فيصل .

وهناك قابلنى على طريقته البسيطة المرحبة ووجدته قد انتحى بى جانبا وقال :

ـ ياأخ باقورى . . تسمح أقول لك كلمة ؟

نعم . .

قال :

ـ بلغنى أنك ستخطب الجمعة فى المسجد الكبير فى باندونج وبى إليك حاجة فى هذا الموقف بالذات . .

قلت : ما هى ؟

قال :

ـ أنت تعرف أن بين الوفود الحاج أمين الحسينى رئيس وفد فلسطين وأهل هذه البلاد يقدسون فلسطين ويقدسون كل من يقوم مقاما دينيا فى فلسطين فإذا كنت تقبل نصيحتى بعد أن تستأذن رئيسك فالأمر إليك . . تخطب فى الناس . . وأنا سمعت خطبك وكلها طيب وسمعتك تقول أن الإسلام دين الحرية والعدالة والسلام . . فإذا قلت هذه الكلمات فى مدى ربع ساعة ونزلت عن المنبر لتؤم المسلمين فى الصلاة وأنت فى المحراب أدع بصوت مرتفع الحاج أمين الحسينى يؤم المصلين تكريما لفلسطين فى شخص الحاج أمين الحسينى وبهذا تؤدى حقا لابد من أدائه وترضى هذا الشعب المسلم الذى لا يرضيه شىء أحسن من هذا .

* * *

ونحن فى الطريق داخل المسجد إذا بى ألمح مدفعين على المنبر ! . . لقد خشيت هذه الصورة فعلا . . مدفعان منصوبان وبينهما أنا خطيبا ؟ ماذا يعنى ذلك هل فى قدرة المدفعين المنصوبين أن يحميانى من فدائى يتسلل إلى جوار المنبر وعن طريق المدفع أيضا . . الحقيقة أننى خشيت على نفسى لكن قلت الذى يعزينى فى هذا الموقف أننى إن قتلت فسوف أقتل وأنا فى الطريق إلى الله وإلى أداء خطبة الجمعة والصلاة . .

ورغم اهتزازى داخليا من وجود المدفعين إلا أن هذا لم يمنعنى من تنفيذ الخطة كاملة استعنت بالله فأعاننى وقمت فقلت أن الإسلام الذى جاء به محمد رسول الله يقوم على أصول ثلاثة لا يكون مسلما من يجحدها ويتنكر لها أو يخرج على نطاقها وهى الحرية والعدالة والسلام فإذا أحببتم أن تكونوا مسلمين بحق فهذه هى الطريقة ولا يوجد مجتمع فى الدنيا يمكن أن يقوم مع الإسلام فى هذا المجال . . حرية تقوم على لا إله إلا الله وعدالة يتكافل فيها المسلمون بحيث إذا مات مسلم فى القرية من الجوع فكل من فى هذه القرية آثم عاص الله ورسوله . . وسلام الإسلام مأخوذ من الإسلام . وبعد آن أتممت حديثى قلت فى الميكرفون : تكريما لشعب مجاهد ذاق من ويلات الحياة ما ذاق ولى فيه أخوة أعزاء هو شعب فلسطين . . تكريما لهذا الشعب فى شخص رئيس وفده الحاج أمين الحسينى أستاذنكم فى أن أدعوه إلى أن يؤمنا فى الصلاة الحاج أمين الحسينى .

فقام الناس وهللوا : الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . . وتقدم الحاج أمين الحسينى وصلى . . وبعد أن فرغنا من الصلاة جاء الأمير فيصل ـ فلم يكن قد تولى العرش بعد ـ جاء إلى وقال لى : إننى دائما لا أرى بدا من شكرك لأنك تستجيب دائما لكل نصيحة توجه إليك فقلت . . أنا استجيب دائما لكل تصرف يضيف قيمة لمعنى الحياة .

* * *

ولكن هناك رحلة هى على ما أعلم درة رحلاته والزهرة التى يعلقها فى ذاكرته دائما . . تلك كانت رحلته إلى الصين . . وكانت الصين كما الحلم لنا . . حلم سياسى وحلم تاريخى . . كانت رحلة الشيخ هى أول إطلالة لنا على الصين وأول مرحلة فى العلاقات الرسمية أيضا . . ما قصة الرحلة . . كيف ذهب ولماذا دعى هو بالذات ؟

● الصين يامولانا هى روح أسيا وعقلها . . الصين هى الأنامل التى تطرز وبنفس النمنمات يفكر العقل . . الصين هى أعظم تجربة لإثبات أن تحديد النسل ليس سبيلا إلى التقدم بل هى الكثرة لو أحسن أستغلالها لأصبحت خيرا كثيرا . . الصين الديانات . . التراث . . الفكر والفلسفة الصينية . . صن يات صن . . ماوتسى تونج . . شواين لاى . . الصين التى جعلت من السور الذى أغلق عليها طولا لمسيرتها العظيمة . . كيف رأيت ياسيدى تلك العيون الصغيرة المبتسمة دوما ؟

ــ لكى نتحدث عن رحلتى إلى الصين يجب أن نبدأ من برنامج باندونج . . أول مؤتمر لعدم الانحياز لدول آسيا وأفريقيا والذين كانوا يطلقون عليه المؤتمر « الأفرو أسيوى » . . ففى آخر جلسة من جلساته فى مدينة باندونج خطب الرئيس شواين لاى رئيس حكومة الصين وقال فى نهاية خطبته أنه يدعو الوفود المشتركة فى المؤتمر إلى زيارة الصين على حساب الحكومة ليروا أن الصين مع أنها حكومة علمانية لا صلة لها بالدين فإنها مع ذلك تحترم عقائد الدينيين وتعطيهم حرية الإعتقاد ، كنا فى ذلك الوقت بعضنا ينزل فى فنادق فى مدينة باندونج أما عبد الناصر فكانوا ينزلونه فى قصر صغير فى ضواحى باندونج فكنا ننتهز الفرصة دائما مساء لكى نذهب لزيارته فى داره التى كان ينزل فيها وكانت الوفود من آسيا وأفريقيا تأتى لزيارة جمال عبد الناصر وكثيرا ما كان يدعو إلى العشاء كثيرا من هذه الوفود على مائدته التى كان أشهر ما عليها الجبن المصرى الدمياطى الذى كان يعجب به كل زعماء آسيا وأفريقيا برغم إمتلاء السوق هناك بكل منتجات الألبان من هولندا التى كان لها سلطان على جمهورية أندونيسيا . .

وفى نهاية الرحلة كنا فى جلسة عند عبد الناصر وننتظر بعض الوفود التى كانت تزوره . . وجاءت بعض الوفود وأخبرونا بما قاله شواين لاى فى خطبته عن دعوة من يشاء من الوفود المشتركة فى المؤتمر . . وقال عبد الناصر :

ــ رأيى أن تذهب لزيارة المسلمين فى الصين ، وكان بجانبى المرحوم صلاح سالم فقال :

ــ فعلا . . وأنا أذهب معه . .

فقال عبد الناصر :

أنا أقول للشيخ أحمد أنه يذهب لزيارة المسلمين فى الصين وهو حين يذهب لزيارة المسلمين فى الصين يذهب لزيارتهم بوصفه رجلا من رجال الاسلام ورجلا من رجال الأزهر الشريف وأنا قررت ذلك فى كل خطبة وفى كل رحلة رحلتها وأنت ياأخ صلاح ما تسافرش !

وسافرت إلى الصين . .

وقبل أن يستغرق الرجل فى وصف الرحلة العظيمة الأثر العميقة التأثير سألته ما يريد أن يسأله القارىء أيضا :

● كيف رأيت الزعيم ماوتسى تونج ؟

ـ إن شخصية هذا الرجل وفلسفته وذكائه ظهرت فى حفل إستقبال للقائه ولست أنسى أبدا الحكمة التى بدت من تصرف الزعيم ماوتسى تونج فى تلك الليلة . . لقد وقفنا صفا واحدا نحن رؤساء بعثات الدول ننتظر قدوم الزعيم « ماو » وكنت فى مكانى بعيدا عن الباب وتقريبا فى نهاية الصف ودخل الزعيم ومن ورائه وزراؤه ومعاونوه ولم يشأ أن يقف لكى يصافح الناس الذين يتقدمون إليه ولكنه ترك كل هؤلاء الناس وجاء إلى أنا وصافحنى يدا بيد وقال لى زملاؤه . .

لقد صنع هذا لأنه علم أنك رجل من الأزهر الشريف فلما رأى العمامة واضحة بين الرؤوس العارية قصد إليك يحييك تحية خاصة . والرجل والحق يقال رجل زعيم يستحق كلمة زعيم وقد أهدانى كتابه الذى أسماه « أكبر مسيرة فى التاريخ » ذلك لأنه مشى مع زملائه الثوار على قدميه كارا وفارا مسافة إثنى عشر الف ميل وهذا شىء عجيب يضاف لعجائب الصين .

● وأعجب ما رأيت فى الصين بشكل خاص ؟

ـ كان مما يثير الإعجاب فى أنفسنا ونحن نصاحب الذين يرافقوننا فى زيارة الآثار . . كنا نرى ما يخص الإمبراطوروالإمبراطورة موضوعا فى مكانه وكأنه لم تحدث ثورة مع أن ثورتهم على الأباطرة عمرها طويل . . ومع ذلك ظلت آثار الامبراطورة موجودة كما هى حتى أنه يقال إن الحذاء الذى كانت تلبسه موضوعا فى مكانه لم يمس وهذا أعجب من العجب . .

● وشىء عجيب اخر لا تنساه ؟

ـ من الأعاجيب التى رأيناها شجرة فروعها وغصونها والطير الذى على غصونها كله مصنوع من حجر الجاد الأخضر الجميل . . هذه الشجرة سألت عنها فقالوا إنهم استقدموا أمهر الاخصائيين فى العالم ليقوموها فأخبروا جميعا على وجه اليقين أن هذه شجرة لا يمكن أن تصل لتقويم لأنها فوق كل مال : هذا أيضا شىء عجيب .

● الانسان أعظم مخلوقات الله . . الانسان يزرع . . الانسان يحصد . . الانسان لسان ناطق بالحكمة . . قل لى ياشيخنا ما هو إنسان الصين ؟

ـ يثير الإعجاب فى تلك البلاد أن الانسان من أكبر كبير لأصغر صغير يرتدى بدلة واحدة هى البدلة التى يطلقون عليها بدلة « صن يات صن » والتى رأوا تخليدا لذكراه أن يأخذوا بدلته وأن يجعلوها بدلة شعبية عامة ذات لونين أزرق للطبقة

العاملة ولون أقرب إلى البياض هو للزعامات أو لمن هم أقرب للزعامات . . والشعب الصينى شعب عظيم بالإنسان الصينى ذاته وهو ملتزم صادق كل الصدق راق فى تذوقاته مولع بالموسيقى والشاى . . الناس هناك لا يكفون عن شرب الشاى ، كوب ذاهب وكوب قادم والموسيقى فى القطار وفى كل مكان . . وشىء آخر يستلفت الاعجاب وهو أنهم جميعا فى المقاهى والمحطات وفى كل مجالات الخدمة التى يقدم فيها تحية للضيوف يلبسون « الكمامة » حتى لا يتنفسوا تنفسا يبلغ منطقة الكوب الذى يحمل سائلا أو الحلوى أو الطعام وهذا فى الحقيقة أدب شديد وتصرف كريم يقى الناس شر العدوى . .

● والمسلمون فى الصين ؟

ــ حسن إسلامهم وتعلموا لغة القرآن بفروض الله وقد تعلم بعضهم فى باكستان وبعضهم فى الهند وبعضهم فى الأزهر الشريف . . ومن اللطائف التى لا أنساها أن مرافقى ومترجمى فى الرحلة كان أحد تلاميذى فى مصر الذين تعلموا فى الأزهر أيضا وقد إحتفى بى المسلمون هناك إحتفاء كبيرا سر النفس وجعلنى أشعر بعظمة ذلك الدين الذى وصل إلى آخر الدنيا وسوف يعود ثانيا يسطع بنوره من جديد . . وحينما زرت مع علماء المسلمين سور الصين العظيم وجدتهم يزعمون أن هذا السد هو سد ذى القرنين وكنت قد قرأت فى الهند قبل أن أبلغ الصين بحثا لمولانا أبو الكلام أزاد حول سد ذى القرنين وأن هناك فرقا هائلا بين السد الذى أقامه ذو القرنيين وبين سد الصين العظيم .

الحوار الثامن



عندما استقال المدنيون

ارتفعت حرارة الحديث مع الشيخ الباقورى عن ذكرياته حينها حملتنـا رياح يوليو وأعادتنا إلى أيامها الأولى . . وامتلأت أحرف الشيخ شبابا وثورة . . لم يعد ذلك الثائر الحالم بالثورة منذ أن كان صغيرا أخضر العود غض الصبا تطأ قدمـاه الحقول ويحلم أحلاما خضرا بالتغيير . . لم يعد إبن باقور الذى يحلم بأسيوط . . ولا بالشاب الشاعر الذى ملأ معهد أسيوط الدينى بأشعاره فى الدين والثورة . . الذى يحلم بالقاهرة . . ولا بابن الأزهر الذى ثار ثورته فى عام الأزهر رغبة جامحة فى الاصلاح . . وصلنا إلى يوليو وعـطرت حوارنـا إنجازاتـه . . وصلنا إلى يـوليو وحامت حولنا أرواح من رحلوا من رجاله العظام . . وصلنا إلى يوليو وأزاح شيخنا العمامة وكأنما يستوحيها الذكريات الأولى . . والتحم الشيخ مع الثوار حاملا كل مـا أخذ من معلمـه وأستاذه وشيخـه حسن البنـا من تعـاليم هى روح الاسـلام وبنائه . . تكلم الشيخ فى إيجاز عن أبطال يوليو الذين قال عنهم إنهم كانوا مجموعة من فضائل الرجال قل أن تجتمع فى مكان واحد . .

ونمضى مع الشيخ الباقورى فى حواراته الحاره .

ذلك الشهاب الذى لمع فى حياتنا مهما أحرق فقد أضاء ومهما عشنا فنحن نكتشف مع عبد الناصر أنه لم يحقق معظم أحلامه فقد كان يصطدم الثائر « بالأنا » تقف أمامه سواء من محترفى السياسة أو متملقى الزعماء . . والاقتراب من الشهب دائما خطر . . الضوء الساطع يعمى العين والنار ربما تحرق . . ولكن شيخنا الثائر استطاع أن يقترب من الزعيم . . واستطاع فى فترة قصيرة جدا أن يكون من المقربين إليه والذين يستريح إليهم . . نادرا ما كان عبد الناصر ـ ذلك الذى حطمه موت أمه ـ نادرا ما كان يأنس إلى أحد فى شكواه الخاصة ولكنه أنس إلى الشيخ النازح من أعماق الصعيد مثله . . الشيخ من « باقور » وعبد الناصر من « بنى مر » وكلاهما ابتلعته مصر وتمنى لها أمنيات عظيمة عامة . . والتقى الاثنان على باب الأمل . . كان عبد الناصر يحب الشيخ أحمد حبا جما ويحكى له كلما سنحت الفرص كيف واجه اليتم وحده . . وكيف أخفى عنه أبوه وفاة أمه . . ولكن كيف اقترب الشيخ من الشهاب المنير كثيرا المحرق قليلا . .

● **كيف رأيت عبد الناصر لأول مرة . . ؟**

تمثل الشيخ ما حدث تماما واستعاد ما حدث وبدأ يحكى وكأنه يخاطب نفسه :

ـ رأيت جمال عبد الناصر فى مجلس قيادة الثورة وكان فى هذه الليلة معنا أيضا وجيه اباظة . . كان مستمعا . . ينظر بعينيه الشديدتى الذكاء لكل متكلم وكان يرد بكلمات قليلة واضحة معبرة . . وكان النقاش يدور حول وصول الثورة إلى الناس . . كان عبد الناصر شديد الاهتمام بالشعب . . كان عجولا بالنسبة لتجاوب الناس مع الثورة . . وفجأة قال عبد الناصر : عاوزين نعمل قسم للثورة . . ثم نظر لى وقال : الشيخ الباقورى هو الذى يستطيع أن يكتب لنا . . ما رأيك ياشيخ أحمد . . وأحسست بذكاء الرجل . . إنه يريد أن يجمع الناس حول كلمة وقسم وهو بهذا يعرف قيمة هذا الشعب وحبه لما يجمعه ، وكتبت القسم . . وكان هكذا :

« اللهم إنك تحب الأقوياء وتكره المستضعفين وتنشر رحمتك على الذين يلجأون إليك ويستعينون بك »

وكان هذا فى نهاية عام ٥٢ وفى مطلع ١٩٥٣ قام محمد نجيب بتلاوة القسم

ورده وراءه الآلاف فى ميدان عابدين .

أحسست من هذا المطلب أن عبد الناصر يريد أن يثبت علاقة الجيش بالشعب فى قسم يجمع الجميع . . أحسست أن هذا الاقتراح ليس وليدة فكرة سريعة ولكنه نتيجة لاحساس بأهمية توثيق علاقة الشعب بالجيش . .

واستوقفت الرجل لا لتغيير مجرى الحوار ولكن لفتح قنوات أكثر على شخصية الرئيس عبد الناصر ذلك القائد الذى لابد أن يعرف عنه شباب اليوم ما فاتهم معرفته . .

● ماذا لفت نظرك فى شخصية عبد الناصر . . ما هو المفتاح المادى لزعامته ؟

ـ أول ما لقيت جمال عبد الناصر وجدت رجلا تتوافر فيه صفات الزعيم . . وحينما نقرأ فى سورة البقرة « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم » . . قامة الرجل المديدة وعيناه العميقتان وحرصه على أن يعرف . . كانت هذه هى خصائصه التى يؤثر بها فى الجماهير . .

طويل القامة مؤمن بما يقول عميق النظرات يحب شعبه . . إذا رضى عنك أرضاك وإذا غضب عليك أغضبك . .

● وماذا رأيت منه أيضا ؟

ـ سمعته متحدثا فى نادى الضباط بالزمالك بعد الثورة بفترة غير قصيرة وكنا آنئذ نشترك فى إقامة حفل لتكريم على ماهر باشا بعد أن خرج من الحكم وحل محله الرئيس محمد نجيب . .

وجدته حريصا على الوفاء لكل الذين عرفهم مجاهدين فى سبيل هذا البلد ثم قال فى بعض مجالسه إن كل ثورة يجب أن تقوم عن تدبير وتخطيط ولكن ثورتنا جاءت على عكس هذا جاءت نتيجة ثوار ثاروا ثم وصلت ثورتهم إلى الشعب وكانت هذه أولى الحقائق التى يعترف بها جمال عبد الناصر والاعتراف بالحق بلا ريب فضيلة وقد كان من الممكن أن يتجاوز هذا .

● بعد أن دخلت شاهدا على التاريخ فى حكومة الثورة . . من هى الشخصية التى أحسست أنها تنازع عبد الناصر الزعامة ؟

ـ لا أستطيع أن أقول إنه كان هناك من ينازع عبد الناصر الزعامة لأن شخصية الزعيم الإنسان هى جزء من تأثيره على الشعب . . إن الإنشقاق الذى

حدث بينه وبين محمد نجيب لم يستغرق وقتا لإثبات زعامة عبد الناصر واضطروا أن ينحوا نجيب عن الجيش وأن يعين مكانه عبد الحكيم عامر فى تنفيذ هذا القرار غير أن الأخير أضر بثورة يوليو لأنه أراد أن يتقرب إلى الجيش ليعتز بـه فأعـطى الضباط ما يحبون ولكن عبد الناصر كان صاحب الزعامه الحقه فأعطى الشعب ما جاءت من أجله الثورة بتحديد الملكية الزراعية ، ثم التأميمات بعد ذلك .

واستنتجت فقلت :

● أى أن عبد الناصر كان زعيما بلا منازع !

ـ أى نعم . . كان زعيماً بلا منازع وكان هناك قلة من المنازعين الذين كانوا يلجأون لبعض الحاقدين فى الداخل أو لبعض المتربصين فى الخارج . . وهذه طبعا منازعة غير مشروعة . . لقد اتضح لى من أول الأمر أنه قائد ثورة يوليو وتأكد لى بعد ذلك بعد أن شاهدت بنفسى عناية أجهزة الإعلام العالمية بتقديم عبد الناصر . . كانت متكالبة على أخذ صوره فى جميع مناسبات الثورة . . أذكر مرة أنه جاءت وفود إعلامية من عـدد كبير من دول العـالم وأقيم مؤتمر صحفى كبـير للثوار فى فنـدق سميراميس وذهبنا إلى هناك وإذا كل عدسات المصورين مركزة على جمال عبد الناصر وذلك يعنى أن هذا هو الرجل القادر أن يسوس ثورة يوليو .

***

حينما قامت ثورة يوليو لم تكن وسائل الإعلام فى مصر على درجة من القدرة الكافية على التوصيل ـ توصيل الثوار بالطبع ـ لا عن قصور فى الأجهزة ولكن لأن الكهرباء لم تكن قد وصلت إلى النجوع والقرى بل وبعض المراكز أيضا وكذلك لم يكن الترانزستور قد وصل بعد . . وكان على الثوار أن يصلوا بأنفسهم إلى الناس وكان لشيخنا خبرة فى الوصول إلى الناس حيث كانت رحلات الإخوان وشيخهم حسن البنا قد جعلت أقدامهم توسع الخطى بطول مصر وعرضها .

● من صاحب اقتراح فكـرة « ركب التحريـر » الذى طـاف مصر ؟ أنت وأعضاء مجلس قيادة ثورة يوليو . . ؟ لماذا بدأتم المسيرة ؟

ـ كان لهذه الرحلات أساس هام جدا . . هو أن الشعب يجب أن يثق بأن هذه الثورة ليس كما يصورها بعض خصومها فيقـررون فى خطبهم العـامة ومجـالسهم الخاصة وسرائرهم وعلانيتهم أن جمال عبد الناصر فى مصر هو كمال اتاتورك فى تركيا أى أنه فاعل بالإسلام فى مصر ما فعل اتاتورك بالإسلام فى تركيا . . كان هذا يجب

أن يغيب عن أذهان الناس . .

● **وكيف استثمرت الثورة مولانا الشيخ الباقورى ؟**

ــ الشيخ الباقورى ياسيدتى لم يترك قرية فى مصر من الاسكندرية إلى أسوان لم يزرها متحدثا إلى الناس عن الإسلام الذى ينتظم بالإصلاح الإقتصادى والاجتماعى والعقائدى .

● **ماذا عن حواراتك مع الثوار فى هذه الرحلات ؟**

ــ بنفس هذه الكلمات وأن الثورة لم يكن لها بد أن تعتنق الإسلام وتعلنه إلى الناس حتى يثقوا بها ولا يأخذوا بما شاع عنهم بالخطأ من أنهم لا يهتمون بأمور دينهم . ولذلك حينما أخرج معهم فى ركب التحرير كنت أطرق معهم نفس الأحاديث التى كنا نطرقها ونتحدث بها مع الإمام المرحوم حسن البنا والإمام حسن الهضيبى .



ودائما وليس عيبا أن يستعين الزعماء بمن يضع لهم أفكارهم فى قوالب مكتوبة أو جمل تقرب هذه الأفكار أو تفتح العقول لفكرهم وكان من الأشياء التى عرفت فى سنوات الثورة الأولى أن الشيخ حسن الباقورى كان يكتب لعبد الناصر خطبة وليس أمامنا مصدر صدق أكثر من مولانا نفسه وكان لنا سؤال له وعنه :

● **هل كنت تكتب وتتدخل فى تشكيل فكر أو خطب عبد الناصر ؟**

قال بلا تردد وكأنه ينفى تهمة :

ــ إطلاقا . . لا أبدا . . إلا تهنئة بعيد الفطر ونحن فى اندونيسيا أو خطبة جمعة أقولها فى مجلسه فيستعيدها وتعجبه الفكرة فيأخذها لا ليقولها ولكن ليقرأها لنفسه . . وأذكر فى بعض الأحيان وهذا من اللطائف أننى كنت ذات يوم أخطب فى رحلة من رحلات توزيع أراضى الاصلاح الزراعى فتحدثت حديثى وبعد أن فرغت أنحنى جمال عبد الناصر وقال لى هامسا :

ــ كل ما أجمعت أن أقوله فى ذهنى أخذته منى . . الفكرة الوحيدة التى كنت سأتكلم عنها إنت لطشتها منى فى آخر لحظة . .

قلت : على العموم ربنا يزرقك واعتمد على الله وقم وتكلم . وتكلم عبد الناصر وكان حينما يواجه الناس يجد ما يقوله ببساطة شديدة ويجد الناس فى إصغاء لما يقول أيضا .

كان الرجل يلقى الشعب والشعب يتكاثر عليه تكاثراً فى غير رحمة وكان الذين يزاملونه فى هذه الرحلات يقاسون من الضغط أعتى المتاعب وكان من أدب الرجل أن يأذن أو يأمر أو يطلب من الذين يزاملونه فى السيارة أن يحيوا كما يحيى هو الشعب وكان يطلب منهم فى حدة ألا يتركوه يحيى الناس وحده بل يطلب منهم أن يحيوا معه الجماهير التى تستقبله . .

● **كيف كان يقدمك عبد الناصر إلىٰ كبار ضيوف مصر ورؤساء الدول ؟**

ـ كان يقدرنى أعلى قدر وأذكر على سبيل المثال ذلك الأسلوب الذى ذكرنى به فى الحفل العالمى الذى أقامه له غلام محمد رئيس جمهورية باكستان عام ١٩٥٥ ونحن فى الطريق إلى باندونج فقد قال الرجل لعبد الناصر : إننا سعدنا بك ياسيادة الرئيس لخطواتك العاقلة التى تدل على زعامة أصيلة فى المعاهدة التى عقدتموها مع بريطانيا ثم سعدنا بك ياسيادة الرئيس فى أنك معتز بالإسلام لا تفرط فيه .

فرد عبد الناصر على غلام محمد قائلا :

ـ إن الذى نفتخر به أن من بين الوفد صديقنا الشيخ الباقورى وهو عالم من علماء الأزهر وهو وزير للأوقاف فى عهد الثورة .

محاولة اغتيال عبد الناصر

فى عام ١٩٥٤ اهتزت الثورة . . اهتزت لمحاولة الرئيس نجيب أن يلوى عنق الثوار واهتزت لمحاولة اغتيال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالاسكندرية وكان الشيخ الباقورى موجودا يوم الاعتداء على عبد الناصر وكان فى نفس المكان ووجدت السؤال يقفز من بين حنايا الحوار :

● **هناك من قالوا إن محاولة اغتيال عبد الناصر فى ميدان المنشية كانت تمثيلة والخصوم هنا لا تعييهم الحيل فى بث شرورهم . . ما رأى مولانا ؟**

ولم يتردد الشيخ لحظة وقال :

ـ كنت أجلس فى الشرفة بجوار الأخ الفاضل ميرغنى وزير الزراعة السودانى وإذا يداه مخضبتان بالدم وإذا بالرئيس جمال عبد الناصر منفعلا انفعالا شديدا والذى يصغى إلى انفعالاته لا يمكن أن يقول أن هذه تمثيلية أبدا . . إطلاقا لا يمكن أن يسلم أى إنسان أنها تمثيلية . . لقد أساء بعضهم الفهم وانزلقوا خلف المغرضين حتى أنهم قالوا إن الشيخ الباقورى خطب خطبة لا يقولها إلا إنسان يريد أن يقول ما قال وقد

وقد حضّر الخطبة وحفظها . . هؤلاء الناس لا يعرفون أن الخطبة التى قلتها فى فندق سيسيل بعد ذلك من محفوظاتى وأنا فى القسم الثانوى فى الأزهر عام ١٩٢٧ قلت فيها يومئذ؟ :

تمـنـانى لـيـلـقـانى أبى ووددت وأيـنـما مـنى ودادى
أريـد حيـاتـه ويـريـد قتـلى عذيرك من خليلك من مرادى

● **نفهم من هذا أنك تعتبر أن محاولة اغتيال عبد الناصر كانت من منعطفات الثورة الهامة ؟**

ــ بلا شك لقد كادت تعصف بالثورة . . إن إطـلاق الرصـاص على عبـد الناصر فى المنشية لم يكن خيراً أبداً . .

● **وكيف رأيت خلافات الثوار فى مسيرتهم ؟**

ــ هذه الخلافات لم تعد دائرة الرأى فلم ألاحظ أن أحدا منهم خرج عن طور الأدب أو الهدوء ، قد يخرج عن طور الهدوء أحيانا أحدهم فيصرخ صرخات فيها قوة كما صنع ذات يوم المرحوم جمال سالم وكاد يلجأ إلى المسدس !

● **لمن ؟**

ــ لكى يضرب الرئيس محمد نجيب !

● **متى ؟**

ــ حدث ذلك فى أزمة مارس عام ١٩٥٤ . . وخشيت فى الواقع من حدوث مكروه ومعرفتى لجمال سالم تجعلنى لا أستكثر عليه شيئا فقلت له ياأخ جمال تسمح . كان رسول الله ﷺ إذا وصى غاضبا قال له توضأ ونحن هنا فى هذا المكان بيننا وبين دورة المياه خطوات تعال معنا وإلا اضطررت أن أسحبك سحبا فتبسم وقام معى يتوضأ . . وبهذا تخطينا منطقة الخطرحتىلاتنجلى المعركة عن شهيـد بمسدس جمـال سالم .

● **بالنسبة لخلافات الثوار قلت أنها كانت بسيطة . . ولكن كيف وصلت بهم الحالة إلى الانفصال عن القائد ؟**

ــ العاصفة تبدأ أول ما تبدأ نسيما عليلا قد يتمتع الانسان به كلما تمادى النهار واحمرت الشمس بدأت تأخذ طريقها إلى الحرارة حتى تنقلب عاصفة أما لماذا فهذا مالا أعلمه وسره عند الله .

● **قبل أن نترك الحديث الساخن المغلف بطقس يوليو قُل لى يامولانا . . ما هى فى رأيك أهم أنجازات يوليو المعنوية وليس المادية ؟ .**

ــ فى رأيى أن تأميم قناة السويس هو هذا الذى تسألين عنه وذلك لأنها كانت آية ذل فى عنق كل مصرى وما كان يمكن التخلص من هذه المذلة إلا بتأميم قناة السويس فهذا عمل إن لم يكن أجل أعمال الثورة فهو من أجلها .

* * *

وحينما تولى الشيخ وزارة الأوقاف كانت فى ذهنه أشياء منذ أن كان صبيا يمشى حافيا على حقول باقور . . ثم لحقتها أمانى أخرى وهو فى معهد أسيوط الدينى وتكاثرت الأمانى التى يمكن تحقيقها عن طريق هذا المنصب بعد ثورة الأزهر .

● **ماذا غيرت فى وزارة الأوقاف لتكون قطارا لركب الأمانى ؟**

ــ أول شىء غيرته حل الوقف الأهلى وكان لابد أن يحل لأن ضرره أكثر من نفعه ولكنى لم أستطع أن أصنع به كل ما أحببت لأن بعض الوزراء كانت لهم رغبات خاصة كانت تصطدم بما أريد أن أعدل به القانون فلم أستطع أن أمضى إلى الغاية التى أريدها . . هذه واحدة . . ثانيا كان هناك وقف فى وزارة الأقاف أوقفته زينب هانم بقرية شاوة بالمنصورة . . كان هذا الوقف كبيرا وكان موقوفا على الأحناف أى الذين يعتنقون المذهب الحنفى . . ولعلها فعلت ذلك لأن مذهب الأحناف هو مذهب الدولة العلية التى هى تركيا وإن كان كثير من الناس يقولون إنها كانت لها رغبة فى بعض سلائل محمد على . . المهم أن هذا الوقف كان يغل على كل حنفى ما لا يقل عن مائة وخمسين جنيها كل عام .

وكان المالكية أيضا يتقاضون مبلغا كل عام ولكن هذا المبلغ يدفع لهم لأن رواق الشام تقاتل مع رواق الصعايدة فاحتدمت المعركة حتى قتل الشوام رجلا من الصعايدة وخشية أن تستطيل الفتنة وتمتد رئى أن يدفع رواق الشوام إلى رواق الصعايدة دية القتيل فى كل عام قدرا من المال هذا القدر يوزع على علماء المالكية لأن معظم الصعايدة من المالكية وأنا منهم فكنت اتقاضى عشرين قرشا فى كل عام كان هذا يؤثر فى أنفسنا بما يترتب عليه من فتوى أصدرها بعض آل العلم فى إدارة الأزهر . . الفتوى تقول إن العبرة فى الصرف هو وقت الصرف وليس وقت الاستحقاق فالذى يوجد وقت الصرف يصرف مادام يتبع نفس المذهب فكان كلما

لاستثمار التكايا التى بنينا فى أماكنها عمارات ينتفع بها الناس وبإيرادها ناس آخرون .

* * *

والعلاقات بين الناس كائن حى مثل كل الأحياء تولد غير مكتملة طفلة ثم تنميها حرارة العلاقة ثم تمر بفترة مراهقة فيها الرفض وفيها القبول ثم فترة شباب وازدهار وعطاء وإزهار وإثمار . . ثم كهولة . . ثم نهايات أحيانا سعيدة وأحيانا إلى فراق . . وعلاقة صاحبنا بعبد الناصر بدأت عفية فتية كما قلنا . . ثائر تحت العمامة يجدد فكر منطلقات الاسلام وثائر تحت الثوب العسكرى يطوع المدفع إلى غصن زيتون ويلوح به إلى العدو ويرتمى فى أحضان مشاعر الناس نحو الزعيم ويصبح المدنيين عتاده وعدته يقف بهم فى وجه الدنيا والتاريخ . . ولا ختلاف بداية الرجلين كان لابد أن تنبت زهور لها شكل آخر وثمار لها طعم آخر . . وأردت أن ألتقى ببداية الخلاف . .

● **اختلفت حتما مع عبد الناصر . . متى بدأت بذور الخلاف وكيف ؟**

ــ لم يكن خلافا بالمعنى الواضح الجلى ولكنه كان قليل من الاقتناع ببعض ما أفعل . . وبداية الخلاف تأتى قبل لقائى به حينما كنت فى عهد ابراهيم عبد الهادى أعين أسر الأخوان المسلمين المسجونين ببعض المال وكنت أجمع لهم وكنت آخذ بعض هذا المال من سورية وعن طريق المرحوم مصطفى السباعى رضى الله عنه كنت آخذ بعضه من أغنياء فى سوريا لعلى لو أذكر أسماءهم لتعذروا بهذا ولكن فيهم خير كثير . . وحينما أنتهى الأمر إلى فى وزارة الأوقاف وكان تحت يدى مال الأوقاف هل أستطيع أن أدع هذه الأسر وقد أوصانى بها الامام الشهيد حسن البنا قبل أن يموت ؟

وهل استطيع أن أعينها وأنا فى عهد ابراهيم عبد الهادى وأمنع عنها المعونة فى عهد الثورة ؟

هنا والحق يقال والله على ما أقول شهيد . . بدأ بعض الحقدة أو الحسدة والذين يحبون الأصطياد فى الماء العكر يصورون للرئيس عبد الناصر أننى أضع بذرة لحزب أو لتكتل يقوم فيه الاخوان المسلمون مناهضين للثورة .

● **فى أى أعوام الثورة بدأ هذا الخلاف . . ؟**

ــ فى أواخر عام ١٩٥٧ . . وزاد الأمر حدة بعد الوحدة مع سوريا عام ٥٨

الاستحقاق فالذى يوجد وقت الصرف يصرف مادام يتبع نفس المذهب فكان كلما أهل الشهر الذى يوزع فيه ريع الوقف ندب من الاسكندرية أو من أسيوط ومن بعض الوزارات وبعض العلماء للتدريس فى الأزهر ليأخذوا نصيبهم فى وقف زينب هانم . . كانوا يندبون على الورق فقط بحيث إذا أخذوا ما يأخذوا تشطب أسماؤهم ويعودون إلى ما كانوا عليه فكانت هذه حيلة ثقيلة فلما انتهى الأمر إلىّ فى وزارة الأوقاف دعوت عالما فاضلا هو فضيلة المرحوم الشيخ أبو زهرة .

* * *

قلت للشيخ أبي زهرة :

ما رأيك فى وقف زينب هانم ؟

فقال بروحه الفكهة الطريفة :

ـــ هذه الولية كانت قليلة أدب . . لأنه يعنى اشمعنى الأحناف ؟

قلت : على كل حال رحمها الله . . أهو نصيب وخلاص ؟

قال :

ماليش دعوة إن كانت ماتت ولا حية هى لم تكن موفقة فى هذا الوقف .

قلت : هل عندك من حيلة ؟

قال : فيه ياأخى كثير . نغير غرض الوقف من جهة بر إلى جهة بر أولى وهذا نص فى الفقة الاسلامى .

فقلت : ياأخى ما تعمل معروف تعمل لنا مذكرة .

فعمل الشيخ أبوزهرة المذكرة وقال فيها يغير هذا الوقف من جهة البر التى تعطى للأحناف إلى جهة بر آخر أولى وهى الانفاق منه على من يموت من الأحناف ولا يدع لورثته ما يكفيهم من المال وهذا حق ، هنا رفع العلماء الأحناف علىّ قضية فى المحكمة لأنهم يريدون أن يأخذوا النقود فى حياتهم ولا يتركون لأولادهم وكانوا ثلاثة بعضهم كان لهم أكثر من خمسة أولاد وكلهم فقراء ولكنى ربحت القضية ثم استأنفوا . . هل تتصورى أن هؤلاء الثلاثة قد ماتوا ولم يتركوا لأولادهم شيئا .

وكان أولادهم من استحق من هذا الوقف بعد تغيير أغراض الوقف وهذا مما أعتز به أمام الله وأمام المؤمنين .

كذلك عنيت فى أثناء توليتى الوزارة برفع الضيم عن الكثيرين وطبقت على الذين فقدوا أموالهم : ارحموا عزيز قوم ذل . . وكان اهتمامى بمستشفيات الأوقاف كبيرا من أجل الطبقة الفقيرة التى لا تملك حق العلاج وكذلك كان اهتمامى موجها

والاتحاد مع اليمن لأنى فى ذلك الوقت كنت وزيرا مركزيا وفوق أبرز وأنا وزير مركزى فى مصر وبدأت أتلقى معونات وأعطى معونات وبدأت آخذ أموالا من وزارة الأوقاف وأعطى لبعض الأخوة هناك فى سوريا وفى اليمن لكى يبعثوا بها إلى أسر الاخوان . . وبلغت هذه الأمور جمال عبد الناصر . . ونحن بشر . . إن جمال عبد الناصر كإنسان حريص على مبادئه لابد أن يغضب وأنا كرجل حريص على وصية الأستاذ الامام لابد أن أفعل !

وفطنت إلى نقطة هامة فرضت نفسها طوال حوارى مع الشيخ وعند دخولنا أمواج ثوار يوليو .

● **أى أن الذى كان بينك وبين عبد الناصر كان دائما حسن البنا !**

قال وهو يؤكد كلماتى بكلماته :

ـ نعم . . كان بيننا دائما حسن البنا فكلما يتخيل خصوم الثورة خطرا يقع للثورة كانوا يتمثلوننى خصما لعبد الناصر وإذا أفلحوا فى هذا فقد أفلحوا فى أن يحطموا الثورة وأن يتخلصوا منها ولكنهم ظلوا كالمتربص فقط .

● **قيل وقتها يامولانا أن بعض الأجهزة أوقعت بينكما وأنها اختلفت عليك أشياء كثيرة وزعمت بك أشياء أخرى لكى ترضى عبد الناصر وتوهمه بأنها تعمل بصدق وجدية فهل هذا حقيقى ؟**

ـ يجوز والله أعلم لا أستطيع أن أجزم ولكن أستطيع أن أقول إن هذا القدر بذاته كان يمكن أن يستغل . . تستغله المخابرات أو غيرها ويستغله الذين يخاصموننى حتى داخل الوزارة نفسها .

● **لكى نغلق ملف الاخوان لا بدلى من سؤال أخير . . هل انقطعت صلتك بهم بعد أن كتبت استقالتك للمرشد العام حسن الهضيبى ؟ .**

قال وكأنه يفتح باب بيته القديم فى باقور :

ـ لا . . بل على العكس كنت ألقاهم فقد كنت قد أستأجرت دارا فى رقم ١٠ شارع فاروق . . كانت حجرة واحدة أخذتها منذ اعتقال الإخوان وكنا نلتقى بها ونساعد الذين يدخلون الانتخابات مثل سيد جلال فقد كان من أفضل الناس الذين يقدمون مساعدات مالية لأسر الإخوان المسلمين المعتقلين وهذا رجل لا أجحد فضله إلا إذا كنت جاحدا .

● **هل ظللت على علاقة وثيقة بهم ؟**

- إلى يوم يقوم الناس . . كنت على علاقة بهم إن لم تكن علاقة رسمية فإنها علاقة مودة وعاطفة لا يجرؤ الزمن على أن ينال منها .

● **وكم من العمر قضيت فى الوزارة ؟**

- من ٧ سبتمبر ٥٢ حتى ١٣ فبراير عام ١٩٥٩

● **حوالى سبع سنوات . . ترى هل كانت عجافا ؟**

- نعم سبع سنوات . . تعدل كل منها عشر سنوات !

وفجأة تصدعت العلاقة بين عبد الناصر والباقورى . . لماذا وكيف ؟

الحوار الأخير



نهاية المطاف

وتمضى الكلمات المليئة بالأحداث مع ذكريات الثائر تحت العمامة والقادم من قرية « باقور » فى صعيد مصر من أعماق أسيوط . . .

لقد طفنا مع الرجل كل ثوراته . . منذ الطفولة . . . وحب استطلاع وتجربته فى الطرق الصوفية . . . ثم حياته مراهقا صبيا فى معهد أسيوط الدينى ثم أزهريا يجوب الأروقة واطلالته على القاهرة . . ثم ثورة الأزهر . . ووصلنا إلى إطلالة على فكره الدينى الذى طالما تأثر بفكر أستاذه حسن البنا ثم خطاه فى مصر مع الإخوان المسلمين . . ووصلنا مع الشيخ إلى المعتقلات من أجل موقف ثابت من الأضرار على حركة إصلاح فى البلاد . . ثم ثورة يوليو وكيف أطل عليها ثم التحم بها . . ووصل إلى كرسى الوزارة حيث لفحها جانبا من ثورته ومن نظراته المتحررة إلى مال الوقف ليكون رحمة للمسلمين والمنكوبين . . .

ثم تباطأت رحلة الطواف . . أمام غيوم الخلافات بين الشيخ وقائد الثورة . . حيث حوصر قائد الثورة بسور حديدى من بطانة أبت عليه أن يصل إلى حقيقة ما يدور حوله وكان جهاز المخابرات قد قويت شوكته مثل أى ثورة تخاف الانهيار فتحكم من داخلها وليس من خارجها عن طريق الشعب وبدأ الرئيس عبد الناصر يعترض على اعانات الشيخ لأسر معتقلى الإخوان المسلمين . . وبدأ الشرخ فى صرح الصداقة العظيمة الراضية . . وإليكم حوارى معه حول هذه الفترة .

كان خبر استوزار الشيخ الباقورى هو العمق الرئيسى على موائد الحوار فى مصر ، فى القرى وفى المدن ، بين رجال الدين وبين عامة الشعب بين المثقفين وأنصاف المتعلمين ؛ لم تخلُ حلقة من حلقات الكلام تحت ظل مآذن الأزهر من تساؤل حول دخول الشيخ أحمد حسن الباقورى الوزارة ، أما أعضاء مكتب الارشاد فى جماعة الإخوان المسلمين فقد أصيبوا بالهلع الأكبر ، أما وكالات الأنباء فقد طيرت الخبر بسرعة إلى أنحاء العالم .

وفى حوارى مع مولانا الشيخ حسن الباقورى حول مشوار تحفه ثورة الاصلاح لم يكن سؤالى عن الوزارة عن حب استطلاع هؤلاء الناس وإنما ظللته غمامه من بنوة شرفنى بها الشيخ دوما .

● حينما دخلت الوزارة . . هل أحسست بأنك إنسان آخر . . . ؟ هل استطاعت طقوس الوزارة وأبهة الاشتراك فى الحكم . . الانتقال من رجل يسعى بين الناس إلى رجل يسعى إليه الناس أن تغيرك . . ؟ قل ماذا حدث تماما ؟

اعتدل الشيخ وأزاح العمامة عن جبهة تشع بالذكاء والحكمة وتكلم وألفاظه يغلفها السماح ووجهه يفيض بالرضا :

ـــ لا يستطيع إنسان أن ينكر بريق المنصب ولكن الإنسان الذى لديه طموحات من أجل « الإصلاح » يشعر خطورة « المنصب » دائما . . ومنصب الوزارة أثناء ثورة من الثورات هو بلا شك يختلف تماما عن نفس المنصب فى فترة عادية . . الأمر يختلف فى حالة الثورة . . هنا إلزام بعمل شىء وبالتغيير الذى يحلم به الثائر ويحقق به أحلام الناس . . لم تكن الوزارة بالنسبة لى إلا مسئولية جديدة كبيرة فى مرحلة تحقيق الأحلام . . ومن اللطائف التى لا أنساها حينما وليت الوزارة أن جاءنى عبد المجيد باشا صالح وكان قد تولى وزارة الأشغال أكثر من مرة وقال لى « خذنى قدوة » قلت : قل ما تريد أفادك الله . . فقال لقد وليت الوزارة ثلاث مرات وفقدت عقلى ثلاث

مرات

يقولون لى سوف تكون وزيرا أفقد نصف عقلى من الفرح وبعد ما « أجعد » شوية يقولوا رئيس الوزراء سيقدم استقالته أفقد النصف الثانى من الحزن . . ولهذا وليت الوزارة ثلاث مرات وفقدت عقلى ثلاث مرات .

وأنا أنصحك لكى تكون صعيدى مضبوط لابد أن لا تفقد عقلك لا بالفرح ولا بالحزن واعلم أن الوزارة ليست دائمة فقلت له :

ــ أنا أريدك أن تقول لى كلام عملى يفيدنى . . نحن فى مرحلة ثورة . . فقال لى :

ــ إن لديك فى الوزارة أوقافا كثيرة وكل وزراء الأوقاف مشهورون باللعب فى الأوقاف وكلمة وقف ٣ حروف كلها تنتهى بالشمال وهى شؤم فاحذر أن تبدأ يمينا وتنتهى شمالا . . وابعد عن الأوقاف ولا تستبد برأيك . . أنا لم أتول وزارة الأوقاف ولكن عندك ناس ممكن تنتفع بهم مثل محمد باشا علويه وهو أسيوطى بلدياتك . . اذهب إليه ولاتدعه إليك أنت صغير وهو كبير ولا بد من مراعاة التقاليد . ونحن حينما نفقد تقاليدنا من احترام الصغير للكبير وعطف الكبير على الصغير سنكون قد انتهينا .

وقد أخذت بنصيحته رحمه الله ونفعتنى طول مدة الوزارة وما بعدها أيضا .

* * *

وإذا كانت هناك شبكة يمكن أن يكون نسيجها الإشاعات وتغطى مصر كلها من أقصاها إلى أدناها والعالم العربى أيضا فليس هناك أكبر من تلك الشبكة المكونة من الإشاعات التى واكبت خروج الشيخ الباقورى من الحكم ؟

ــ لقد سجلوا له تسجيلات يتآمر على عبد الناصر . . !

ــ لقد أوقع به الإخوان لدى عبد الناصر .

ــ إن مكتب الإرشاد رسم الخطة ونفذتها المخابرات .

* * *

بدأت مصر تضم تيارات أخرى وعاش الشيخ مشاق الإخوان فى الدول العربية وبدأت وزارة الأوقاف تتلقى المعونات وكان الجرح مازال ينزف داخل الزعيم من الإخوان المسلمين الذين اعتدوا على حياته فى المنشية . . وكلما كانت العلاقة رائعة كان الغضب أكثر ألما للنفس . .

وبدأت الفجوة تتسع وكانت بدايتها المعونات التى يدفعها الشيخ للإخوان المسلمين . .

● **هل كان عبد الناصر قد بدأ يصاب بأمراض الحاشية ؟**

ـ هذه مسائل عادية وعبر التاريخ تأتينا دائما . . وهى كثيرة الحدوث . . يؤتى الرجل دائما من بطانته وقد كان . . !

● **وكيف كان ذلك . . نريد أن نعيش هوة الخلاف ولماذا حدث ؟**

ظهرت سحابة منذ بداية الحوار لم تظهر . . غمامة لها عمق سحاب الأمطار الغزيرة وابتلع مولانا أحرف الكلمات وبدأ يتكلم بهدوء :

ـ فى ليلة شديدة البرودة . . ١٣ فبراير عام ٥٩ بالتحديد استدعانى عبد الناصر إلى بيته . . وهناك قبل مدخل البيت عند منشية البكرى أوقفت سيارتى على غير العادة لأمشى طريقا لا يقل عن مائة متر حتى أصل إلى بيت الرئيس . . كانت هذه هى المرة الأولى التى تقف فيها سيارتى بعيدا . . فكان تمهيدا جعلنى أشعر أن هناك أمرا جللا . . إننى لا أنسى هذه الليلة ما حييت . . دخلت البيت . . ثم دخلت إلى مكتبه وكان واقفا فحيانى بيده مسلما وبعد أن جلس ووجهه تعلوه صفرة وحزن فائض لم أره من قبل قال بكلمات ناطقة بكل الألم وبقمة الألم . .

● **أنا أتحدث إليك حديثا هو أصعب حديث وأصعب موقف مر فى حياتى يا شيخ أحمد . .**

ثم مد يده وأدار مفتاح جهاز تسجيل فإذا صوت وقح يتهم جمال عبد الناصر فى أوقح اتهام يتهم به إنسان . . إنه يسبه فى عرض أمه . . . إنه يسبه فى أقدس ما يعتز به إنسان . . شعرت بما يشبه الاغماء وجاء صوته يسألنى . .

ـ هل عرفت صاحب الصوت ؟

قلت :

ـ نعم عرفته بالطبع .

وقال عبد الناصر والدموع تغرق وجهه ونبرات البكاء تختلط بالكلمات .

ـ هل كنت موجودا فى هذه الجلسة يا شيخ أحمد ؟

قلت وأنا لا أدرى كيف أتكلم .

قلت : نعم . . أنا آسف . . نعم كنت موجودا . . .

قال : عاوز تقول حاجة ؟

قلت : أنا عاوز ورقة .

قال : ليه ؟

قلت : لأكتب استقالتى . . . !

وهنا رفع الرجل رأسه ومسح دموعه وبدا الزعيم فى محياه وقال :

ـ إنت عارف انى باقبل استقالات ؟ هو حد استقال قبل كده ؟

قلت : على كل حال إذا بلغك شىء عنى فأنت تملك قوى لا يملكها أحد غيرك تملك أن تسأل فى كل مكان ذهبت إليه من الصعيد إلى مراكش وفى الجزائر وفى البلاد العربية . . ولى رجاء تقبله ؟

قال : وما هو ؟

قلت : منذ ١٥ يوما وقعنا قانون محاكمة الوزراء فإذا ثبت على شىء مما بلغك عنى فحاكمنى واترك لى فرصة الدفاع عن نفسى فإذا اقتنعت بغير هذا فالعدل الذى أرجوه منك وأعتقده فيك أن تخرجنى من بيتك كما أدخلتنى فيه .

قال : على كل حال ربنا يسهل . .

وأصر عبد الناصر أن يوصلنى إلى الباب وجاءت العربة إلى الباب وركبتها وأعتقد أنه لو كان تركنى لأمشى هذه المسافة ربما كانوا قد خطفونى وأخفونى فى أى مكان ولهذا قبل أن أخرج طلب مدير مكتبه وقال له : أدخل سيارة الشيخ الباقورى . .

ووصلت إلى بيتى وكنت متعبا جدا وقد قال بعض الناس أننى سقطت مغشيا على وأننى مرضت وأنا فى مجلس عبد الناصر وهذا غير صحيح لقد مرضت ولكن بعد فترة طويلة فقد مكثت فى بيتى ٥ سنوات وخمسة شهور وخمسة أيام . .

***

وفى صباح يوم ١٤ فبراير كانت الجرائد قد نشرت خبر خروج الشيخ الباقورى من الوزارة . . وفى السابعة والنصف صباحا وقف شاب يطرق باب الشيخ الباقورى وكان من صفوة أصدقائه ومحبيه وكان ذلك الصديق الصدوق هو عبد الوارث الدسوقى مستشار رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم الآن . .

ويقول عبد الوارث الدسوقى :

كان يوما غريبا فعلا . . لقد لزم الشيخ حجرته أسفل البيت وخافت زوجته منا وهى تعرفنا حق المعرفة ولكنها اعتقدت أننا من المخابرات ولما علم بوجودى طلبنى فدخلت إليه وكان ملازما لحجرته وبادرنى بقوله :

ـ يا عبد الـوارث يجب أن تتأكـد أنني شريف ونـظيف . . أنني لم أسرق ولم أنهب . . ولولا هدم بيتي فى باقور لذهبت إلى هناك ولزمته وليس لدى نقود لأبنيه فقد استبدلت جزءا من معاشى من أجل زواج ابنتى وسأله عبد الوارث :

ماذا حدث بالضبط ؟

ــ لقد أستدعانى عبد الناصر وأسمعنى تسجيلا لأحد أصدقائى المقربين والتسجيل بصوته يتحدث مع الأستاذ يحيى حقى ويسب فيه عبد الناصر فى عرضـه وحينما استنكر يحيى حقى هذا الأسلوب منه قال لـه الصديق (جبـان وخايف من عبـد الناصر . . الشيخ الباقورى جنبى أهو وسامع الكلام) وكنت أصلى يا عبد الوارث ولما فرغت من صلاتى كانت المكالمة قد انتهت فقلت له يا أخى ذلك عيب ولا يصح ولكن التسجيل كان قد انتهى . .

وأنت تعرف علاقتى الوثيقة بعبد الناصر الذى كان يأتمنى على أسرار بيته . . لقد أبكانى حينما حكى لى أنه عاد من الأجازة الصيفية التى كان يقضيها فى منزل عمه فوجد أمه قد ماتت وتزوج أبوه من أخرى وكيف أن والده قال له أن « أمك راحت فى التراب » فذهب الطفل الصغير يمرغ وجهه فى التراب بحثا عن أمه . . لقد قال لى عبد الناصر إنك الوحيد الذى تعرف كل شىء عنى وعن أمى فهل أسب هكـذا أمامك يا شيخ أحمد ؟ وبكيت مع عبد الناصر . .

ويضيف الأستاذ عبد الوارث الدسوقى أن عبد الناصر بعد أن تبين بعد ذلك أن الباقورى لم يخطىء فى حقه أراد أن يرجعه إلى جناح الثورة وقال له المشير « اتكل على سوف أذهب إلى الشيخ أحمد وأرجعه » ولكن المشير كان غير صادق ولم يذهب إلى الشيخ الباقورى .

ويقول عبد الوارث الدسوقى : كانت المخابرات قد قوى جناحها وأصبحت تقبض على الذين يعايشون العاملين بالسياسة أذكر أن الشيخ الباقورى حينما عاد مديرا لجامعة الأزهر أرسل له ابراهيم عبد الهادى برقية تهنئة فأراد الباقورى أن يرسل له رد البرقية ولكن الذين حوله قالوا له أن هذا مرفوض سياسيا . فكتب الشيـخ خطابا وأعطاه لأحد أصدقائه ليعطيه لابراهيم عبد الهادى فما كان من الصديق إلا أن اعطاه للرئيس جمال عبد الناصر وفى إحدى المقابلات بين عبد الناصر والبـاقورى سلمه الخطاب الذى كان مرفوضا أن يذهب لابراهيم عبد الهادى . .

***

ومن عمق الألم من جوف الصداقة المنهارة يتكلم الشيخ الباقورى كلمة حق بعد قرابة ربع قرن من الصمت :

ـ هل يطيق إنسان كريم فى منصب رئيس الجمهورية أن يرى أحد وزرائه فى مجلس تسب فيه أمه على هذا المستوى السوقى ؟

لقد مكثت فى بيتى خمس سنوات وخمسة شهور وخمسة أيام لا أغادره إلا فيما ندر يمكن ٥ مرات أو ست فقط كان يمر على الأخ الكريم الشرباصى والأخ الدكتور نور الدين طراف وكثير من المعارف والأصدقاء وبنينا حجرة مكتب صغيرة فى الحديقة أصبحت فيها ندوة أسبوعية تقريبا فكان يقال هناك فى مصر الجديدة ندوتان ـ ندوة العقاد صباح الجمعة وندوة الباقورى ليلة الجمة .

وكنت قد سألته عنّ ابنتيه ليلى وعزة فى خلال مذكراته وأبقيت الحديث عن يمنى عامدة متعمدة لأن مكانها هنا حيث عاشت صباها ملتصقة بأبيها فى وحدته .

● ويمنى كيف استقبلتها وليده . . حتى أصبحت جليس الوحدة بعد ذلك ؟

ـ كان مجىء يمنى بعد شوق للصغار فقدت ابنى محمدا وانا فى معتقل « فاقوسة » . . . وحينما علمت بميلاد يمنى وكان هذا فى عام ١٩٤٧ دخلت حجرتى وظللت أصلى وأقرأ القرآن . . ولما فرغت من صلاتى قلت لهم : أسميتها يمنى من اليمن ولعلها تعيش وتكون طالع يمن وبركة علينا وعلى بلدنا .

وكانت يمنى منذ طفولتها تشع ذكاء وتطلب المعرفة . . وحينما خرجت من الوزارة كانت ليلى قد تزوجت وبعدها عزه بستة شهور فقط وأصبحت يمنى هى جليسى وصديقتى وتلميذتى أيضا . . إنشغلت بى وانشغلت بها . . أصبحت يمنى هى العقل الذى يدير المكتبة المكونة من خمسة آلاف مجلد فى الدين وأصبحت تعرفها وتحفظها وتعيننى على ما أريد منها . . كانت رفيق الوحدة فى وقت انفض فيه الركب . . أصبحت لغتها لغتى وحوارها حوارى ورغم حداثة سنها فقد استوعبت أصول الدين وعشقتها وبرز هذا فى دراستها فى كلية الحقوق فنبغت فى مادة الشريعة الإسلامية . . وكانت يمنى من قبل . . هى الطفلة المدللة لأعضاء مجلس قيادة الثورة . . أذكر من اللطائف لابنتى أننى حينما عدت من الصعيد جاء الصديق جمال سالم ليسلم على فقال لها :

ـ إتعلمتى تتكلمى صينى من بابا يمنى ؟

ـ إتعلمتى تتكلمى صينى من بابا يا يمنى ؟

فردت بسرعة : أيوه . . بس صينى مكسّر يا عمى . . وكان عمرها فى ذلك الحين سبع سنوات فقط . . . تحملت عنى غروب الوزارة . . وكانت تتعمد تكذيب الإشاعات المثارة حولى . . فكانت تخرج بالدراجة فى شوارع مصر الجديدة وتعود ومعها صديقاتها لتريهم أننى موجود بالبيت . . وفى نفس الوقت كانت تتحايل علىّ لأخرج من حجرتى وأتمشى فى الحديقة ليرانى الناس ويعلموا أننى لست معتقلا . . . وبقدر شوقى لإنجاب الولد . . فإن ابنتى يمنى عوضتنى فى اعتكافى عن الشوق إلى الولد وأدت دور الإبنة والإبن حقا . . وعوضتنى زواج شقيقتيها فى فترة كنت محتاجاً فيها لمن يسرّى عن حياتى .

***

فى هذه الفترة الطويلة العصيبة لا تكفى مراجعة الناس عما حدث طوال مشوار الحياة ولكن لابد من الاختزان أيضا . . كنا نذهب إليه ونتكلم فى كل شىء وكان مجلسه دائم الخضرة متجدد الحوارات ولكننا لم نكن فى ذلك الوقت نعيد العجلة إلى الوراء فلم نكن نتكلم عما مضى أبدا اللهم بعض الذكريات عن الأزهر وفترة الكفاح الأولى فى عهد الاستعمار ومرحلة ما قبل الثورة . . . وكأنما كان يضع لنا خطاً أحمر لا نتعداه حيث مشاعره مليئة بالظلم ولا يريد أن تمتد ظلال الظلم فتحجب الرؤيا وتوقف نمو الحوار الخلاق . . كان يعايش الكتب طوال يومه ويتخلل ضيوفه معايشته للكتب وكنت كثيرا ما أشعر بالخجل من كتبه وكأننى أقاطعه الحوار مع صديق حميم . . ولكن كان حب استطلاعى يدور حول حصاد هذا المصرى المغرق فى المصرية .

● عايشت الكتب . . . ترى كيف كان الحصاد ؟

تحسس أوراق كتاب فى يده كان يشرحه لى . . كان كتاب غاية فى الغرابة : تستطيع أن تقرأه بالطول أو بالعرض أو بالتقاطع فيكون لكل اتجاه معنى من المعانى العظيمة . . . تحسس الورق وكأنه يستودعه لفترة وقال :

ـ كنت أجلس فى مكتبى كل يوم . . أقرأ وأقرأ حتى حفظت القرآن كله وأتيت على كل كتب التفاسير سواء ما كتبه علماء من مصر أو من كل العالم الإسلامى وكنت أقرأ بنهم شديد وبذهن صاف تماما فقد كنت قد انشغلت لسبع سنوات بأمور الحكم

والوزارة واستغرقتنى السياسة ولم أكن أعود لكتب الفقة والسنة إلا كلما وجدت وقتا وكان عزيزا جدا فى وقت الحكم أن تجد وقتا لتغرق فيه نفسك فى كتاب . . .

كنت أقرأ كتبا ولكن بلا تخطيط معين ولكن حرصت على حفظ القرآن بعد أن كنت قد أنسيته ولا تقولى فى القرآن نسيته لأن كلمة نسيته تعطى الإهمال ولكن كلمة أنسيته معناها تدخلت إرادة أخرى غير إرادتى . .

* * *

وحينما عكف الشيخ على كتبه وانفرد فى منزله بأهل بيته وثقافاته بعد الخروج من الوزارة تغيرت معيته بلا جدال وصفت وبقى منها الصفوة الذين افتقدوه مع ازدحام حياته بالحكم والسياسة . . . فى ذلك الوقت تغيرت وجوه وغابت وجوه . . . وبعد **ما يقرب من ربع قرن سألته :**

● وماذا عن الناس . . . وانفضاض السامر ؟

قلت سؤ الى أثير فيه الحكمة وأفيد منه قارئى وآخذ منه زاداً لعمرى هو الأفضل مما نتقوت به من طعام . . إنه زاد حمله الشيخ فى عقله وبين حنايا قلبه آثرت أن يعطيه لنا . . ذلك الرجل الذى يحكم العطاء .

قال وكأنه قنديل يضىء فى الظلام الحالك :

ـ الناس يا سيدتى معادن . . . الأصيل يظل كما هو وغير الأصيل يتوارى خلف زخرف الدنيا أى المناصب وأنا فى وحدتى أحاط بى كثير من ذوى الأصل . . وانفض عنى من أردت أن ينفضوا فأراحنى الله منهم . . . ومن خيرة الناس أذكر واقعة ألمت بى . . فقد أصيب لى « ضرس » وأردت أن أخلعه وكنت مصرا على عدم مغادرة البيت وكنت قد سمعت حكاية عن خال لزوجتى ربط خيطا فى السرير ثم ربطه فى ضرسه ونزل مرة واحدة فانخلع الضرس وجربت هذه الطريقة وإذا بنزيف شديد يصيبنى مكان الضرس الذى انخلع . . وهنا طلبت زوجتى صديقا قديما للأسرة هو الدكتور أيوب عامر . . فجاء الرجل وكان زميلا قديما فى سجن الاستئناف . . جاء ومعه السيدة حرمه وعالج أسنانى فى البيت وكان يحمل أدواته معه كلما عادنى . . وهذا الرجل من النماذج العظيمة الوفاء والصداقة . . وكرمنى الله بأستاذى ومعلمى فى الثورة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز والد زوجتى ، فقد كان معى دائما . . وكان يريد أن يخرج بى إلى الناس والمجالس ولكنى رفضت . . فقد

كان خروجى يعتبر تحديا للدولة . . والدولة لا يستطيع أن يتحداها إلا دولة . . وهكذا فضلت الاعتكاف رغم أن الرجل يصر على أن أخرج على طريقة محاربته للانجليز . . رحمه الله . . فقد كان شجاعاً . . عاش شجاعاً ومات شجاعاً أيضا . . وزارنى أيضاً الأمير متعب بن عبد العزيز وقال لى إطلع يا أخى ليراك الناس . . ولكنى رفضت أيضا . . وكان جلالة الملك فيصل يبعث إلىّ برسائله الشفوية دائما .

* * *

● **كيف عادت العلاقة بينك وبين عبد الناصر من جديد ؟**

ــ فى ذات يوم وأنا فى مكتبى أتأمل فيما مضى وفى الحاضروفيما هو آت . . إذا بكوكب زوجتى تنادينى « أحمد . . أحمد . . بشىء من اللهفة . . تليفون علشانك . . . وعلى التليفون كان هناك أخ فاضل هو محمد أحمد السكّرتير الخاص للرئيس عبد الناصر :

ــ معالى الوزير . . .

ــ نعم . . .

ــ الرئيس عقبال عندك بيجوز هدى بنته . . فهل إذا جاءتك دعوة تحضر الحفل ؟

ــ هدى ابنتى . . وعبد الناصر مهما كانت الظروف هو أخى وزعيمى ورئيس الحكومة التى كنت أعمل بها . . وأنا أسعد بهذه الدعوة . وفى اليوم الثانى جاءتنى تذكرة الدعوة . . ولا تتصورى كيف لقينى الناس حينما ذهبنا إلى الحفل .

تقول حرم الشيخ الباقورى :

ــ عند بدء دخولنا منزل الرئيس وكانت السيارة تسير ببطء شديد . . كان الناس المجتمعون والحرس كأنهم لا ينطقون سوى حرف الشين . . فكلهم يهمسون .

ــ الشيخ الباقورى . . الشيخ الباقورى . .

ويقول الشيخ الباقورى :

ــ واستقبلنى جمال عبد الناصر ومعه حرمه بصوت عال مجلجل :

ــ أهلا . . أهلا يا شيخ أحمد . . .

وأقبل علىّ وأقبلت عليه وأحتضنته بقوة . . قوة العاطفة التى تغلب كل قوة فى

العالم . . وسعدت معه بابنته وكان فى صحة طيبة . . كان هذا فى يوليو عام ١٩٦٤ . . وكان عبد الناصر سعيداً يلتقط الصور بنفسه للعروس وللمدعويين .

وبعد الحفل قال أناس إن الشيخ الباقورى كان هو الخبر فى هذا الحفل . . وبدأ الناس يتساءلون . . هل يعود الباقورى إلى منصبه . . لابد أنه سيعود فى منصب هام . . وعندما حان وقت الإنصراف من الحفل كان الرئيس مشغولا فلم أشأ أن أذهب إليه حتى لا يقال إننى أنافقه .

* * *

وجامعة الأزهر كانت حلم الشيخ منذ أن كان ثائراً صغيراً فى أسيوط وكون جماعة إصلاح الجامعة الأزهرية . . وكان لابد لعودته من حلم آخر يتحقق بعد هذه الغصّة الهائلة التى أوقفت مسيرة الثائر . . ونشرت جريدة الأهرام فى صدر صفحتها الأولى فى ١٤ يوليو عام ١٩٦٤ « الباقورى مديراً لجامعة الأزهر » . . وعلق أحد أصدقائه الوزراء قائلا له :

ــ لو كان عبد الناصر أعادك إلى الوزارة ما كان صنع شيئاً . . لقد رد إليك اعتبارك بأن ولاّك منصباً أهم بكثير من الوزارة .

● **هل كان هذا أحد أحلامك فعلا ؟**

ــ وأنا طالب فى معهد أسيوط الدينى عملنا جمعية إسمها جمعية إصلاح فساد الجامعة الأزهرية . . وكان ذلك عام ١٩٢٦ . . وتحققت فى عام ١٩٦٤ . . .

وكان الدكتور طه حسين قال فى إحدى المناسبات . . كان الأزهر المذكر خيراً من الجامعة المؤنثة .

● **هل قابلت عبد الناصر بعد ذلك ؟**

ــ نعم . . قابلنى فى مسجد الإمام الحسين فى صلاة العيد وكنت قد وصلت قبل وصوله بدقائق . . وجاء عبد الناصر وقال :

ــ أهلا يا شيخ أحمد . . كل عام وأنتم بخير . . وبعد أن فرغنا من الصلاة . . قصدنى وأخذ بيدى وذهبنا معا إلى مقصورة الإمام الحسين ودرنا حول الضريح . . وكان الرجل كأنه يكفّر عن خطئه نحوى . . فالإنسان الكبير يتعب أن يرى أنه أخطأ . . ورحم الله الذين مضوا إلى الله وأدام الله توفيقه للذين خلفوهم بخير . .



الشيخ الثائر والفن

● نور الشريف يسأل . . والشيخ الباقورى يجيب :

ربما يبدو للوهلة الأولى أن أطراف الحديث هنا غرباء . . فهم مجموعة مختلفة الأعمار والتجارب والأمزجة والاتجاه فى الحياة . . ولكن الحوار كان شيقا . . مفيدا . . ممتعا . . فى بيت الشيخ الجليل أحمد حسن الباقورى وفى سهرة رمضانية ألقى الفنان نور الشريف والفنانة « نورا » ولفيف من الأهل والأصدقاء بعلامات الاستفهام عن الدين والدنيا والعلم . . وتلقفها الشيخ الباقورى برحابة صدر وأجاب بأسلوبه السهل الممتع الممتنع أيضا . . وتحدث الشيخ الباقورى فى تفسير الدين وعلاقته بالدنيا . وظواهر العلم . . وفى غزو الفضاء . . وتنظيم الأسرة . . وفى موقف الدين من التمثيل والموسيقى . .

وقال الشيخ الجليل : إنه لا تعارض بين الدين والفن . . وإنه لا يعترض على ظهور الصحابة على الشاشة . . ولكن بشروط . . ما هى ؟

فى هذا البيت تجد نفسك أمام نموذج بالغ الروعة والجاذبية والبساطة . . حيث ينعكس كل ما فى الشيخ الباقورى من عظمة تاريخ وثورة على الحوار فى بيته وحيث يصبح الناس كما النحل يلتف حول زهرة عملاقة يمتص منها الرحيق . . ومع اختلاف الثقافات والأمزجة . . وجد كل منا إجابة لسؤاله . . فهو عالم بحر بارع فى اختيار الإجابة واللفظ . . حيث تصبح فى مواجهة أمام السهل الممتنع الممتع أيضا . .

والصوم عن الطعام يجعل النفس جوعى للروحانيات فى رمضان ــ نوع من التعويض ــ والأحاديث التقليدية تحيط العقل بالملل أما الحوار الذى يتخذ الحرية أساسا يتيح له يشبع الوجدان حقا . .

وحوارى مع الشيخ الباقورى بحرية طوال ربع قرن من الزمان جعل حوارنا كلما تقدم العمر أكثر ثراء . . ومن عادة هذا الشيخ المتفتح والأستاذ الجليل أنه إذا سئل تدفقت إجاباته ولا يكون حديثه فى إطار الدين فقط وإنما يعنى بمزج الدين بالدنيا فيخرج حديثه حياة . .

وفى بيته فى مصر الجديدة حيث مريدوه واتباعه دائمو التردد يعتبر منبعا متجددا لحلو الحديث وأعمقه . . وقضينا ليلة عنده كانت من أغزر ليالى رمضان وأجملها . كنا مجموعة مختلفة الأعمار والتجارب والأمزجة . . الفنان نور الشريف والفنانة نورا بكل علامات استفهام الحياة . . وابنته السيدة عزة الباقورى حرم الدكتور اسماعيل صبرى وهى متخرجة فى كلية الآداب وابنته الصغرى السيدة يمنى حرم المستشار على كامل وهى متخرجة فى كلية الحقوق وحرمه وتلميذته كريمة المرحوم الشيخ دراز . . وحولنا أحفاد الشيخ يتأملون أحيانا ويتضاحكون أحيانا وقليلا ما يلعبون ولكنهم يعيشون فى حرية حيث يعاملهم الجد العظيم مقتديا بسيد الخلق محمد رسول الله حيث كان واسع الصدر مع أحفاده الحسن والحسين لا يحرمهما من مجلسه . .

ودائما يذيب شيخنا الجليل ثلوج البداية بحديث فكه يغرى الجميع بالسؤال .

نور الشريف : حضرتك سافرت روسيا ؟

الشيخ الباقورى : لا . . دعيت إليها مرتين ولكن لم أسافرها !

نور الشريف : لقد زرت روسيا ثلاث مرات فى مناسبات فنية مختلفة . . وفى طشقند إحدى الولايات المسلمة رأيت منظرا هزنى وتأثرت منه جدا .

الشيخ الباقورى : إن طشقند هى أساس المسلمين هناك وبها تجمع كبير منهم .

نور الشريف : علمت أن عددهم كان ثلاثة ملايين وأحضروا لهم ثمانية ملايين من الروس لإزالة قوميتهم . . لقد أصبح كل الجيل الجديد هناك بلا دين . . لقد هربت من المترجم وذهبت إلى قهوة وقابلت عجوزا يناهز المائة ويتحدث العربية بصعوبة شديدة وعن طريق القرآن الكريم . . فى الحقيقة أننى فكرت فى هؤلاء الناس ولماذا لا تبذل الدول الإسلامية جهدا ما فى الوقوف بجانبهم . . يجب أن يكون هناك موقف إسلامى واضح من هؤلاء الناس للاحتفاظ بدينهم وترشيدهم .

الشيخ الباقورى : فى الحقيقة أن الإسلام لكى يصلح دعوة فيجب ألا يقف النص أمام المصلحة ويجب أن تترك الفرصة للاجتهادات لكى تأخذ دورها فى اشتعال جذوة الدعوة فى كل مكان . . ويجب أن تفكر الدول الإسلامية فى إرسال البعوث بحيث لا يقع العبء على مصر وحدها كما يحدث . ويقول الزاهد العالم الشيخ الجليل الأستاذ الدكتور معروف الدواليبى : تغير الأحكام بتغير الزمان شىء غير تغير الزمان دون تغيير النصوص وتعطيلها .

* * *

ثم انتقل الحديث إلى المرأة وقانون الأحوال الشخصية فقلت له :

● **ما رأيكم فى قانون الأحوال الشخصية الجديد ؟**

فتفحص كل نساء الحجرة وابتسم وقال :

ـــ من غير ملق للرئيس أنور السادات لقد حقق العبور وطرد الشيوعية وأقام دولة العلم والإيمان وأصدر قانون الأحوال الشخصية هذا القانون الذى لا يقل عن العبور . . ولكنى أجد أن تسمية قانون الأحوال الشخصية غير مناسب وأنسب منها « قانون تنظيم الأسرة » وذلك لأن مسائل الزواج والطلاق والنفقة وما إليها ليست أحوالا شخصية ولكنها مرتبطة بالأسرة وصلاحها صلاح للأمة وفسادها فساد للأمة لهذا لا تسمى أحوال شخصية وإنما تسمى قوانين « تنظيم الأسرة » .

نور الشريف : إننى لا أفهم لماذا تشترط الزوجة على الزوج ألا يتزوج من أخرى فإن تزوج فإن من حقها أن تطلب الطلاق .

الشيخ الباقورى : إن المرأة تضار بزوجة أخرى ومن حقها أن تطلب الإنفصال ومن حقها أن تشترط فى العقد والمؤمنون عند شروط . .

نور الشريف : أنا أريد أن أعرف سندا دينيا لاشتراط المرأة فى عدم زواج زوجها من أخرى .

الشيخ الباقورى : أعرف أن سيد الناس محمدا رسول الله تصرف هذا التصرف ونحن جميعا لا نساوى التراب الذى يمشى عليه رسول الله فإذا فعل وجب علينا أن نقتدى به .

نور الشريف : كيف ؟

الشيخ الباقورى : كان على ابن أبى طالب كرم الله وجهه متزوجا من فاطمة بنت محمد وأراد أن يتزوج أخرى على فاطمة فبعث إلى الرسول ليستأذن فى أن يتزوج بنت الحكم بن هشام فخرج الرسول إلى المسجد وقال :

« فاطمة بضعة منى ما يسوؤها يسوؤنى وما يفرحها يفرحنى . إن ابن أبى طالب يريد أن يتزوج عليها بنت أبى جهل وقد بعث يستأذننى . . والله لا آذن ثم والله لا آذن ، ثم والله لا آذن . . إن كان يريد أن يتزوج بنت أبى جهل فليطلق فاطمة بنت محمد » إذن هذا هو رسول الله وابنته فاطمة زوج على وهذا على ابن أبى طالب ولن تجد مهما فعلت قدوة تقتدى بها أكثر من سيد الخلق .

* * *

وحول الخلاف بين الدول العربية حول رؤية الهلال سأل الفنان نور الشريف هذا السؤال :

ــ ما رأيك يا مولانا فى رجل دين كاد يضرب رجل علم لأن رجل العلم صمم أن تعرف بداية رمضان علميا ورجل الدين رفض . . أنا رأيى أن الله سبحانه وتعالى علم الإنسان ما لم يعلم وأن شهر رمضان لا يأتى وليد الصدفة أبداً لأن العالم الذى خلقه الله بكل دقة وعظيم الصنع ليس فيه أشياء بالصدفة أبدا . . فما رأيك ؟

خلقه الله بكل دقة وعظيم الصنع ليس فيه أشياء بالصدفة أبدا . . فما رأيك ؟

الشيخ الباقورى : قال الله تعالى « ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » صدق الله العظيم والدابـة فى لغة العرب تفسيرها أن الأرض فيها دواب أى كل ما يدب على الأرض .

هذه آية تشير على سبيل القطع إلى أن الكواكب فى السماء فيها دواب كالأرض تماما . . هناك سورة أيضا يقول فيها تعالى وهى سورة الطلاق « الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير » .

إن أرضنا هذه واحدة من سبع . أى أن فى السماء هناك سبع مجموعات شمسية فيها نفس الصورة الموجودة فى مجموعتنا . وليس سبعا فقط لأن اللغة العربية قد تطلق سبعا ولا تريد التحديد ربما تطلق سبعا وسبعين وسبعمائة ولا تريد أكثر من التكرار أى التكثير فليس المراد التحديد وأنما المراد التكثير .

هذه الآية تدل على أن هناك ملايين المجموعات الشمسية فى كون الله العظيم الذى لا يدركه أحد إلا الله .

أليس فى هذا تحريض على العلم ؟ وعلى الصاروخ عابر القارات وعلى المراكب الفضائية . . إنك على حق تماما يا نور لأنك تريد استخدام العلم . . مثل الجنين فى تكوينه وخروجه إلى الدنيا بشكل علمى . . إثبات رؤية الهلال علميا ليست صعبة بالنسبة لتكوين الجنين .

وتلمع عين الفنانة نورا ويقفز سؤال على شفتيها التقطته بحس المرأة حين مر عليها تفسير العالم الكبير لتكون الجنين قالت :

— أريد أن أسأل . . لماذا يعيش الجنين الذى يولد ابن سبعة شهور وكذلك ابن تسعة شهور . . إن إبنة نجلاء فتحى ولدت فى الشهر الثامن ولهذا فهى مريضة بالقلب .

الشيخ الباقورى : قال أحد علماء المتصوفة « الجنين فى بطن أمه إذا اكتملت له سبعة أشهر تحفز لينزل فيجتمع ويهم فإذا نزل فى هذه الهمة نزل صالحا وإذا لم ينزل استراح فإذا جاء التاسع تحفز وهم فإذا نزل فهو سليم معافى وبين الهمتين شهر راحة

هو الشهر الثامن أما همته فى الشهر الثامن فهى همة ضعيفة إذا نزل فيها فلا بد من علة تصيبه وتضعفه .

وسألت :

● لكن يقال أنه لو بدأ الشهر التاسع ولو بأسبوع واحد ونزل الجنين سيكون قويا .

الشيخ الباقورى : فعلا : هنا يكون قد استراح الشهر الثامن كله . . وبمناسبة المواليد هناك مسألة أحب أن أقولها للسيدات ليحملن همها ويبشرن بها من أجل أجيال قوية صالحة ومبرهنا على قولى بقول عائشة أم المؤمنين حين قالت تمدح رسول الله ﷺ .

ومبرىء من كل غير حيضه وفساد مرضعة وداء مغيل

تريد أن تقول للرسول إن أمك حملت بك وهى طاهرة متطهرة والغيل هو لبن الأم ترضعه وليدها وهى حامل وفساد مرضعة أى مرضها .

قالوا إن ارضاع الطفل من أمه وهى حامل لابد أن يصاب معه بداء يصرعه حين يبلغ مبلغ الرجال . . وتقول أسماء بنت يزيد بن السكن : سمعت رسول الله يقول :

لا تقتلوا أولادكم سرا فإن الغيل يدرك الفارس فيعثره عن فرسه .

أى أن اللبن الذى يرضعه الصغير وأمه حامل يصيبه بالصرع عندما يكبر حتى يجعله يسقط مبعثرا من فوق فرسه أى يصرعه .

* * *

ويواصل العالم الذى استخلص من الدين علوم الدنيا قائلا :

ــ لقد طلبت من الدكتور بدران وهو رجل عالم ورع أن يوجه المعامل فى مصر أو يستورد معامل حديثه من أوروبا ليحلل لبن الأم وهى حامل ولبنها وهى غير حامل حتى نعرف ما ينقص من اللبن كما وكيفا حتى نكفل عن طريق العلم وعلى وجه التعيين جيلا قويا بعيدا عن الصرع وغيره . . . وتذكرت حادثا فى طفولتى حضرته فى قريتنا فلقد شاهدت أما لطفل أبعدته عن صدرها وهو فى الشهر الرابع لأنها حملت

بطفل آخر فقلت :

● **ما رأيك أن المرأة فى القرية تعرف هذه الحقيقة العلمية جيدا وتمنع طفلها فور شعورها بالحمل .**

ــ فى البادية أيضا يعرفون هذه الحقيقة . . الفطرة تعلم الانسان حماية نفسه .

نور الشريف : يا ترى فيه كتاب أقدر أرجع إليه فى مثل هذه الأمور ؟

الشيخ الباقورى : بعد شهر إن شاء الله سأهديك نسخة من كتابى مع القرآن فى تفسير جزء تبارك وهو يهتم بحقائق علمية كثيرة .

وبالمناسبة كنت أتمنى أن يحتوى قانون تنظيم الأسرة أو قانون الأحوال الشخصية كما يسمى على نصوص للمحافظة على النسل فهذا حق من حقوق الأسرة وواجب عليها لخلق جيل صحيح الجسم صحيح النفس .

* * *

ومن الفوازير التى تعطى للجمهور ثقافة : الفوازير التى كان يقدمها نور لشريف وبوسى فى إذاعة البرنامج العام وهى عن الأماكن المقدسة . . وتذكر نور الشريف سؤالا بمناسبة هذه الفوازير فسأله :

● **هناك مكان من الأماكن المقدسة تناولناه فى فزورة عقدت فيه معاهدة عقدها الرسول ﷺ مع المشركين وقال المسلمون أن بها بنودا ضد الإسلام فما حكاية هذه المعاهدة ؟**

ورد حماه الله موسوعة لنا قائلا :

ــ إنه صلح الحديبية أو غزوة الحديبية . . إنها ليست غزوة ولكنهم يطلقون عليها هكذا . . فلقد ذهب الرسول ليعتمر فحاصروه ومنعوه من دخول مكة وقالوا له لا تدخل مكة علينا بسيفك أبدا فتتحدث العرب أنك غلبتنا . . لا والله

فماذا يصنع الرسول . . لقد اتفق معهم على أن يرجع من عامه هذا على أن يرجع فى العام القادم ليقضى العمرة التى صد عنها ورجع . . وبينما هو فى الطريق إلى مكة نزل قوله تعالى :

« إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » .

فقال عمر . . أو فتح هذا يا رسول الله قال : نعم إنه فتح .

مع أنه لم يكن فتحا وإنما ترتب عليه الفتح بعد ذلك والذى حدث أن المسلمين الذين كانوا مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه قويت نفوسهم ثانيا وحدثت فى هذه الهدنة أو المعركة متناقضات عجيبة فالرجل حارب ابنه .

وسألته : ما هى البنود الهامة فى صلح الحديبية ؟

قال : أن يرجع عامه هذا ويأتوا بدون سلاح مرة ثانية .

أجمل ما فى هذه الغزوة أن رسول الله استشار امرأته وأخذ برأيها . . فحينما منع المسلمون من دخول مكة أمر الرسول من معه أن يذبحوا الذبائح ويحلقوا شعورهم فتقاعسوا فأمرهم فتقاعسوا فأمرهم فتقاعسوا فدخل على زوجته أم سلمه ووجدته مهموما فسألته عما به فقال :

أمرتهم فلم يطيعوا وإنى أخشى عليهم عذاب النار فقالت يا رسول الله أخرج فادع بحالقك يحلق لك فإذا رأوا أنك تحلق تقاتلوا على الحلاق فخرج ودعا بحالقه . . ويقول الرواة أنه لم تسقط شعرة من شعر رسول الله على الأرض . وهكذا المرأة ذات الرأى .



وتحفز الفنان نور الشريف ليسأله سؤاله الذى يريد أن يكون جوابه دستورا يعمل به ,

— كيف يمكن لرجال الدين ـ سواء على مستوى المسئولية أو المثقفين ثقافة دينية ـ أن يوجهوا الفن بحيث ينعكس على الشباب خاصة والناس عامة أو بمعنى آخر لماذا لا يكون لدينا اعلام دينى ؟

وأضفت للسؤال :

● يعنى مثلا فيلم الرسالة وهو تقريبا أول فيلم يوصل الإسلام إلى أوربا مما جعل كثيرين ممن شاهدوه يدخلون الإسلام . . ورحلاتك إلى أوروبا أيضا أدت رسالة عظيمة لاجتماعك الدائم بتلاميذك ومريدى المعرفة هناك . . لماذا لا يعرض هذا الفيلم هنا أيضا ؟

الشيخ الباقورى : أنا لا أعرف سببا جوهريا لمنع عرض فيلم الرسالة هنا . . أنا شخصيا أطالب الأمة بأن يعرض فيلم محمد رسول الله بالقدر الذى تعرض فيه المسلسلات الدينية فى التليفزيون وأنا أرى أن سير عظماء الإسلام فى مراحله خير مثل يحتذى به ولو أخذنا حياتهم وأحسن كتابتها من جديد وأحسن اختيار الممثلين ولم يبخل فى إنتاجها أعتقد أنها ستؤدى دورا هاما فى خدمة الإسلام وكذلك أيضا بالنسبة لكل الأديان حيث أصبحنا محتاجين لإعادة بناء الإنسان بالقيم الموجودة فى الكتب السماوية . . والاعلام الدينى ضرورة حتى لا يتوه الشباب فى متاهات ويقع تحت تأثير الجماعات المتطرفة التي ليست من الدين فى شىء . .

نور الشريف : التمثيل كفن موجود منذ عهد الفراعنة واليونان وقد ظهر كجزء من العقيدة حيث كان الكهنة ومساعدوهم وحتى الآن فى المسيحية نجد أن القساوسة والشمامسة يأخذون شكلا من أشكال التمثيل . . أريد أن أعرف نظرة الإسلام إلى التمثيل ؟

الشيخ الباقورى : التمثيل صورة من صور البيان ولا شك أنه يعين على شرح الأشياء » .

واستطرد مرددا الآية الكريمة :

« **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف** » .

أليست العبارات هنا مستقاة لتخدم المعنى . . ؟ هناك باب فى اللغة العربية إسمه باب التمثيل . . وهو عبارة عن وضع الصورة المعنوية فى صورة نفسية يستعين الإنسان بها على الفهم . . يقول تبارك وتعالى :

« **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . . المصباح فى زجاجة . . الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم** » .

○ وقلت : « سبحان الله : إنها صورة تستطيع أن تثرى الخيال . . صورة كتبها بعبارة عبقرية الله سبحانه وتعالى . . إن من يقرأ الآيات يحس كأنها لوحة مرسومة بعناية وقدسية لا يرقى إليها إلا خالق الخلق .

ويفيض العالم الجليل من علمه مؤكدا رأيه قائلا : ورسول الله ﷺ قال حديثا يعتبر أروع صورة من صور التمثيل . . قال عليه صلوات الله :

« مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنية فأحسنها وأجملها إلا موضع لبنة فى زواية من زواياها فجعل الناس يطوفون بها فيقولون ما أجملها ما أحسنها لولا موضع هذه اللبنة الفارغة منها فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

لقد صور المصطفى نفسه مع أنبياء الله فى بيت كامل من كل شىء إلا موضع اللبنة . أى أنه جاء مصدقا لهم لم يكن مناقضا لهم . . كان الذى ينقصهم . . وجاء محمد يدعوهم أن يؤمنوا بعضهم ببعض ويتعاونوا على البر والتقوى .

***

وتمنيت دائما أن يتجه شباب السينما إلى التفكير فى الشخصيات الإسلامية وخصوصا الذين كانوا إلى جانب الرسول فى فجر الدعوة ليخرجوا حياتهم إلى النور بما فيها من مآس وفروسية وعبر فتوجهت بهذا السؤال :

● **أستاذ نور هل هناك شخصية إسلامية فى ذهنك تحس أن عندك الرغبة والقدرة على تمثيلها وإبراز كفاحها فى سبيل الدعوة . . شخصية تكون مقتنعا بها نفسياً ومتوحدا مع زواياها بحيث تلقى ضوءا على الفترة التى عاشتها ؟**

نور الشريف : هناك عدة شخصيات تأثرت بها منذ الصغر وقرأت عنها كثيرا . . تمنيت أن أقدم شخصية عمر بن الخطاب فى مسلسل متضمن حياته فى الجاهلية وقدرته على العناد ثم تغيره ودخوله الإسلام ثم خلافته لأبى بكر واتساع الدولة الإسلامية فى عصره أى مرحلة الفتوحات الكبرى . . كذلك تمنيت أن أمثل شخصية عمر بن عبد العزيز لما فى شخصيته أيضا من أبعاد مختلفة مثل حبه للترف قبل الخلافة ثم زهده وتمثله بالقيم ليكون قدوة بعد الخلافة . . خالد بن الوليد أيضا تثيرنى فروسيته .

وقبل أن يضىء لنا أستاذنا الشيخ الباقورى الطريق بإجابته عن العمرين سألته هذا السؤال :

● **تمنيت أن تختار للأستاذ نور الشريف بما لكم من قراءات وتأملات واجتهادات فى دراسة الشخصية أيها تحس أنه سيعطى الرسالة حقها لو أخرج**

للناس فيلما سينمائيا أو حلقات مسلسلة ؟

سكت الشيخ قليلا وكأنما يقارن بين الشخصيتين ثم قال :

ـ عمر بن عبد العزيز شيء وعمر بن الخطاب شيء آخر ، على أن ابن عبد العزيز من نسل ابن الخطاب فورث عنه وتشبه به فنستطيع أن نرى التشابه بينهما فى التسامح ولكن عمر بن الخطاب كان متشددا جدا وقت الشدة ولكن خيط التسامح عند ابن عبد العزيز كان أقوى وهذا لاختلاف الفترتين فقد كان الإسلام فى أول الدعوة محتاجا لقوة وشدة ابن الخطاب .

***

وليبدأ نور الشريف بتمثيل شخصية عمر بن عبد العزيز لأن فترة خلافته لم يلق عليها كثير من الضوء رغم أهميتها . . وعمر بن عبد العزيز حينما تولى إمارة المؤمنين كانوا فى حالة غليان وكان عدد الخوارج فى تزايد . . فلما جاء حطوا جميعا سلاحهم حتى الذين خرجوا على الدولة أيضا قالوا ما ينبغى لنا أن نقاتل مثل هذا الانسان . . فوقفت الحرب دون أن يقول كلمة واحدة . وأبرز ما فيه أنه جاء فرد المظالم وكان قومه من بنى أمية قد اغتصبوا الأرض من الفلاحين فجاء وأشعر الناس أنه يريد أن يرد الأرض فجاء المغتصبون وقالوا له لقد ارتبطت بالأرض أرزاق أولادنا وجاههم وحياتهم وقالوا له تالله لأن فعلت ليثورن عليك الناس فقال كلمته المشهورة « تالله لولا أننى أخشى أن تستعينوا على بمن أطلب الحق لهم لأمرغن خدودكم فى التراب . الشىء الثانى فى هذا الخليفة المؤمن أنه كان رجلا متسامحا مع أهل الذمة .

وحينما عجز بنو أمية من أن يستنقذوا منه أرضهم وضعوا له السم فشربه وأحس بالموت فدعا بخادمه وقال له ما الذى حملك على أن تضع هذا ؟

قال الخادم :

ـ أعطونى الف دينار ؟

ـ هاتها ! . . وأمر بها أن توضع فى بيت المال . . . !!

وقبل أن يموت ذهب إلى دير خرب فى حمص وكان يعيش بقميص واحد يغسله يوم الجمعة وينتظر أن يجف ويلبسه ليؤدى الصلاة وقال لصاحب الدير حينما اشتد عليه السم :

بكم تبيع لى قطعة من الأرض طولها متر ونصف وعرضها نصف متر ؟

قال له : بكذا . . ومع ذلك لقد جئت إليك يا أمير المؤمنين بأول قطف من العنب نضج فى الحديقة .

فقال له أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : لا لن أقبلها منك لأننى حاكم وكأنك أعطيتها كرشوة لا هدية فأرجو ألا تصر على أن آخذها منك ، إنما بعنى قطعة الأرض فإذا أنا مت فادفنى فيها فإذا حال الحول فاحرثها وازرعها . . فعل ذلك الديرانى بعد وفاة عمر ابن عبد العزيز . . وحينما جاء بنو العباس ينشبون قبور بنى أمية لم ينج إلا قبر واحد من الحفر هو قبر عمر بن عبد العزيز . . وخير من كتب فيه رسالة هو الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل فقد كتبها بفكر واضح ناضج .

وسألته هذا السؤال :

● هل ستحجب أيضا شخصية عمر بن عبد العزيز عن الناس بأمر الأزهر أو ما شابه ذلك ؟

قال وهو يؤكد كلماته :

ـ لا . . لن تحجب لأنه ليس من صحابة رسول الله والتابعين لا يحجبون . لقد توفى عمر بن عبد العزيز عام ٩٨ هجرية أى بعد وفاة الرسول بفترة طويلة جدا .

وكان الجو بالحجرة أصبح مشحونا بعلامات الاستفهام والأسئلة الكثيرة وخفت على فضيلة العالم الجليل من الإرهاق ولكنه كان يبدو سعيدا متدفقا كعادته .

* * *

وسألته نورا هذا السؤال :

ـ رجال الدين يحجبون شخصية رسول الله ﷺ على أساس أن شخصيته لا يمكن أن يمثلها أحد . . فلماذا تحجبون الصحابة أيضا ؟

فقال الشيخ الباقورى :

ـ أنا لا أرفض ظهور الصحابة ولكنى أرفض ظهور شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام . . إن الذى يمثل شخصيته عليه السلام لا يمكن أن يوجد فالصفات الخلقية لسيد الخلق الذى اختاره الله ليوصل للناس رسالته لا يمكن إيجادها

فى شخص . . ولقد نجح الغرب فى اختيار شخصية من يمثل دور « حياة وآلام السيد المسيح » ودفعوا له خمسة ملايين دولار حتى لا يمثل أدوارا أخرى بعد ذلك ولكن هذا خطأ أيضا لأن للرسل فى وجدان الناس صورة خاصة لا يجب أن تهتز أبدا .

نورا : أنا لا أتكلم عن الرسول ﷺ لأن هناك استحالة لجمع صفاته فى شخص . . أنا أتمنى أن نرى الصحابة فى أفلام كبرى تليق بهم من حيث البحث وتحقيق السير والإخراج .

الشيخ الباقورى : أنا لا أرفض إطلاقا ظهور صحابة رسول الله وأتمنى أن تخرج للناس بصورة لا تقلل من شأنهم .

● لماذا إذن منعوا فيلم الرسالة من العرض هنا ولا يظهر فيه رسول الله ولا أحد من صحابته . . لقد ظهر سيف على بن أبى طالب فقط !

الشيخ الباقورى : بالمناسبة أنا لا أمانع فى ظهور على ابن أبى طالب أبدا . . إن عليا كرم الله وجهه شخصية عاشت حياة الإنسانية بكل ما فيها . . ألم يفكر على أن يتزوج على فاطمة بنت سيد الخلق ؟ إنه تصرف عادى ولكن فى الواقع يجب أن يكون ظهور هذه الشخصيات فى حدود ضيقة وبحرص شديد وتكرم الشخصية بفرض القيود على من يمثلها .

وكانت وجهة نظرى شخصيا أن الحرص فى اختيار من يمثلون هذه الشخصيات واجب وضرورى حتى تظل الهالة التى يتخيلها كل منا حولهم كما هى . . نفس الثراء فى التصور ونفس التأثر الذى تفعله يظل هو من بعد خروجها إلى الشاشة .

أنا على أية حال لا أستثنى إلا رسول الله فقط وبالشروط الدقيقة يمكن لأى شخصية إسلامية أن تظهر فى السينما .

فقلت : إن ظهور الخلفاء الراشدين يلقى ضوءا ويخدم الرسالة أكثر من احتجابهم .



وسأل نور الشريف سؤالا يتبادر للأذهان كثيرا ولا يجد جوابا :

– عقاب المسلمين المخطئين فى الآخرة مشروع فى القرآن ولكن البعض يقول

إن غير المسلمين سوف يدخلون النار لأنهم لم يسلموا . . فما حكم الذين لم تصلهم الرسالة ولم يشرحها لهم أحد سواء فى آخر الدنيا أو هنا ؟

ولكل سؤال جواب وقال الشيخ الباقورى :

ــ أولا رأى الشيخ الإمام محمد عبده وأستاذه الشيخ جمال الدين الأفغانى وتلميذهما الشيخ رشيد رضا أن هؤلاء الناس هم من أهل الفترة . .

ومن هم أهل الفترة ؟ هم الذين لم يبعث إليهم رسول ويقول الله تعالى فى ذلك « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » إذا كان الله سبحانه وتعالى قدر أنه لا يعذب إلا بعد إبلاغ الدعوة . . فكيف يعذب هؤلاء ؟ ثانيا أن تعذيبه يناقض الحكمة والعزة والله مبرأ عن ذلك كما نقرأ قوله تعالى :

« وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد » .

ثم قال : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » .

قال العالم البصير بلغة القرآن أفلا ترى كيف رتب القرآن جواب أن على فعل الشرط تأمله فإنك ترى العجب .

ترى أنه قال له إن تعذبهم فإنهم عبادك إفعل بهم ما شئت . . أنت حر . لكن فى الجانب الثانى بينه بالعزة والحكمة حين يغفر لهم .

* * *

وتتفرع الأحاديث وكأننا كلما ازددنا علما ازددنا حبا للمعرفة . . وسألته نورا هذا السؤال .

ــ ما رأيك فى تحضير الأرواح . . وما رأيك فى الجن ؟

إبتسم وكأنه توقع هذا السؤال وقال :

ــ قرر العالم الشيخ محمد فريد وجدى أن الأرواح علم له أصول وفروع وأنه

يدرس بصورة واسعة فى أوروبا وأمريكا فمن شاء المعرفة فعليه بدائرة معارف القرن العشرين للعالم الجليل ذاته وتحضرنى حكاية أحكيها لكم عن الشفافية والأحلام أيضا ولها صلة بعلم الأرواح . .

فى شهر فبراير عام ١٩٣٣ ذهبت مع أستاذى المرحوم الشيخ حسن البنا إلى الإسماعيلية وكان قد بنى مسجدا هناك وكان بالمسجد رجل تقى ورع إسمه الشيخ محمد . . هذا الشيخ كنا لا يمكن أن نراه إلا فى حالتين إما قائما فى صلاة أو قارئا للقرآن . . وكان الشيخ حسن البنا يجمعنا كعادته بعد صلاة العشاء ثم نجتمع ثانيا بعد صلاة الفجر ويقول لنا مقتديا برسول الله :

ــ من منكم رأى مناما الليلة . . ؟ فيقص علينا القاصون ما رأوا من منام . . وسأل الشيخ محمد أستاذنا الجليل وقال له :

يا أستاذى أنا أصوم الخميس وأقرأ القرآن طوال الجمعة حتى النوم لأستطيع أن أرى رسول الله فى المنام ولا فائدة طوال عامين فإما أننى غير مسلم وإما أن رسول الله لا يُرى فقال الشيخ حسن البنا :

يا عم الشيخ محمد !. . إن الله يحب لعبده أن يلح فى الدعاء فاستمر ولعلك ترى . .

وفى الأسبوع التالى ذهبنا إلى هناك وجدت شيئا أرويه لكم وأتحمل تبعته أمام الله وأمام الناس وأمام الإخوان المسلمين . .

قال الشيخ محمد :

ــ صحوت يوم الخميس وظللت طول اليوم راكعا ساجدا آخذا بنظرية مالك ابن دينار الذى يقول « قيل له إنك تعتزل الناس وتجلس وحدك وهذا لا يليق ؟ فقال من أنبأكم أنى وحدى . إننى أجالس ربى فإن شئت أناجيه دخلت فى الصلاة وإن شئت أن يناجينى هو قرأت القرآن » . . وهكذا التزم الشيخ محمد طريق مالك بن دينار ليرى رسول الله فى المنام وأكمل الرجل حديثه قائلا ــ لقد من الله على يا سيدى بفضل منه فرأيت الليلة رسول الله ﷺ أما كيف يا سيدى فاسمع منى :

أنت تعلم كما أخبرتنا إذا نمنا وضعنا يدنا اليمنى وسادة ثم نمت وكانت على عينى اليسرى سحابة لا أرى منها شيئا فبعد أن نمت وجدت عينى موضوعة داخل يدى

اليمنى لا ترى وعينى اليسرى عليها سحابة وقبل الفجر خيل إلى أننى أرى شخص رسول الله فقلت : يا رسول الله . . أنا منذ عامين أريد أن أراك ولا أستطيع فقال لى صلوات الله عليه طيب يا شيخ محمد ها أنا قلت له أنت ترى أن عينى اليمنى فى كمى وعينى اليسرى عليها سحابة ثم بكى الشيخ وقال وإذا يد تمسح على عينى وأراه . . وأتونى بمصحف أقرأ لكم الآن . . فعلا كان الرجل قد رأى !!

وتناقشنا فى الموضوع بشكل علمى مع الشيخ حسن البنا فقال :

ـ إنه حينما رأى رسول الله اهتز عصبيا اهتزازا شديدا حرك السحابة ولو لم أره يقرأ بعينى رأسى ما صدقت .

وظل الرجل مجذوبا بشخص رسول الله حتى توفاه الله .

وفى نفس الموضوع سأل نور الشريف :

ـ وما رأيك فى السحر : وما رأى الدين فيه ؟

قال بلا تردد :

ـ السحر موجود يقينا .

نور الشريف : كما حدث مع سيدنا موسى ؟

فرد الشيخ بآيات الله :

ـ قال الله تعالى « قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد » .

إذن السحر موجود . . والنفاثات هن الساحرات كما أن الحسد موجود كما هو فى الآية الكريمة واقرأ هذا الفصل فى كتاب الملل والنحل ترى العجب وسوف ترى من عجائب الكون شيئا غريبا . .

فى الريف الرجل يؤخذ من امرأته بالسحر هذه أشياء موجودة وهناك أشخاص معروفون بقدرتهم وقوتهم فى هذه الأشياء .

لقد حضرت محاضرة فى الجامعة الأمريكية عام ١٩٣٧ وقال المحاضر إنه يتحدى الذى لا يصدقه فيجعل امرأته تلعنه ولو كانت تحبه . .

نور الشريف : عندى سؤال يدور فى ذهن الناس جميعا على ما أعتقد وهو هل الإنسان مسير أم مخير ؟

واعتدل الشيخ فى مجلسه وتردد كأنما يسترجع الإجابة ثم قال :

ــ يجب أن نعلم أولا أنه لا يقع فى ملك الله شىء رغم إرادة الله . . فعالم الفلك يعلم أن الشمس تنكسف فى يوم كذا فهل ترى أن علم الفلك له تأثير أو العلم هو مجرد اكتشاف . . هل صفة العلم صفة كاشفة أو صفة مؤثرة ؟ القطع الذى لا سبيل إلى المنازعة فيه أن الله تعالى عالم محيط .

نور الشريف : مؤكد . . !

الشيخ الباقورى : عال . . وأن العلم ليس إلا صفة يكشف بها الله تعالى كل ما كان وما يكون . سؤالنا إذن عن مسير أو مخير هو سؤالك عن حركتك وأنت تأتى الفعل سواء كان أمرا أو نهيا فضيلة أو رذيلة . . أتشعر فى هذه الأثناء أنك مسير أم مخير هذا هو السؤال . . أما ما فى علم الله فإن ما عند الله لا يزيد عن إنه صفة تنكشف له بها الأشياء فسؤالك يدور عن الأمر التكليفى الذى يحاسب عليه الإنسان . . الأمر التكليفى هو حركتك إلى الفعل سواء ثوابا أو عقابا . . هل تشعر وأنت تأتى فعلا مشينا أو شائنا أن هناك يدا تحركك أم أنك فى هذه الحال تمضى بمطلق إرادتك واختيارك وحريتك . .

نور الشريف : يعنى ربنا سبحانه وتعالى أعطانا العقل لنناقش به الأمور . . إنى أرى من كلمات فضيلتك أنه لو لم يكن هناك تخيير فمؤكد هناك جزء كبير من حياة الإنسان هو مخير فيه وإلا ما كان هناك عقاب من الله سبحانه وتعالى . . لو أن الإنسان مسير فكل شىء يعلمه الله حتى الخطأ فإذا عاقبة الله فيكون هذا ظلما وهذا ليس من صفات الله أعتقد أن التسيير فى الخلق . . خلق الإنسان ثم جعله يعيش ثم أماته والأختيار فى السلوك .

الشيخ الباقورى : التيسير هو القدر . . لذلك أنت تقول أن الإنسان يوجد أفعال نفسه بقدرة أودعها الله فيه لا تقول أن الله هو الذى أوجب وإلا وجب عليك أن تقول أن الله هو شارب الخمر أو أن الله هو سارق الشىء ، فى الواقع أنت الفاعل وكل ما فعله الله معك أنه أقدرك على هذا الفعل ، أما أنت فلك الحرية كاملة فى أن تفعل أو لا تفعل فالإنسان فى هذا الاعتبار مخير على وجه اليقين عن الفعل إن شاء أن

يمتنع .

عزة الباقورى : هل ممكن أن نستزيد من هذه النقطة ؟

الشيخ الباقورى : هل يجوز لخالق الخلق ألا يعلم فعل عباده ؟ . . طبعا لا ؟ . .

هل إذا فعل أحدكم شيئا هل يشعر أن يدا أمسكته وحركته ؟ أو إذا لم يفعل شيئا هل يحس أن يداً منعته من الفعل ؟ . . إنك تجلس وتأكل وتشرب وتتحرك بإرادتك . . إذن الله يحاسبك على هذه الحركة فقط . . هذه الحركة اختيارية على وجه اليقين . .

عزة : إن قدرتى البشرية وتفكيرى من خلق الله أليس كذلك ؟

الشيخ الباقورى : نعم . .

عزة الباقورى : إذن حينما أتصرف كيف أحاسب على هذا التصرف ؟

الشيخ الباقورى : ماذا تفعلين إذا وجدت أنبوبة البوتاجاز تنفجر ؟

عزة الباقورى : أجرى وأبتعد عنها . .

الشيخ الباقورى : إذن أنت تبتعدين باختيارك . . فلا يمسك الله بيدك ليبعدك أو يمسك بها لتظلى واقفة !

ابنته عزة : لا إن الله أعطانى العقل لأفكر !

الشيخ الباقورى : عال . . هذا العقل الذى أعطاه الله لك لتبعدى عن النار هو نفسه العقل الذى أعطاه الله لك لكى تبتعدى عن مناهى الله وتقتربى من مراضيه .

***

نور الشريف : ما هو موقف المتخلفين عقليا من الثواب والعقاب ؟

الشيخ الباقورى : هناك أفعال اضطرارية . . العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدره أو بعقله أما الأفعال الاضطرارية فهى ليست أفعاله وإنما هى ما يسره الله فيه فكل فعل اضطرارى ليس للإنسان فيه اختيار والإنسان غير محاسب عليه .

وأضفت هذه الاضافة التى رد عليها الشيخ الباقورى :

● أننا نكتسب من الحياة والبيئـة صفات تكـون شخصيتنا . . مثـل الصدق والكذب وكذلك لا يولد اللص لصا وأعتقد أن كل ما هو مكتسب يستطيع الإنسان أن يقاومه بقدر قوته وتأثره بالقيم .

وأجـاب الشيخ : طبعـا هذا حقيقى إلى جـانب ذلـك فتـح الله أبـوابـا من التقدير . . تقدير هذه الأشياء التى جل جلاله وضع لها العلاج الـذى يدفـع عن الإنسان وصمة الاحساس بالاجرام فمثلا قال :

(ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) .

ثم قال تبارك وتعالى :

(الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش الإاللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم) .

قال الإمام الزمخشرى وهو قد جاور فى المسجد الحرام خمسا وعشرين سنة . . القبلة والغمزة واللمزة . . ويقولون أن فيه كبائر وصغائر التى يعبر عنها باللمم وأن الكبيرة هى كل ذنب وضع الله له حدا ينفذ على مرتكبيه وهو الفـاحشة والسـرقة وعقوق الوالدين وشرب الخمر والقتل .

***

دائما يختلف الناس على صوم المسافر فالآية الكريمة تقول :

(فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) . .

وللجدل الذى كثر حول حكمة صوم المسافر وجدتها فرصة لإنهائه فسألته :

● إن السفر الآن يختلف عن السفر عند نزول الرسالة فهل مازالت الرخصة كما هى فى السفر ؟

قال الباقورى :

ــ الصيام له علة وله حكمة . . العلة لا تختلف باختلاف الأشخاص والحكمة تختلف باختلافهم والذى تعلمته من صغرى أن كل علة لحكم يجب أن تكون مشتملة على حكمة تصلح أن تكون مقصودة للشارع من شرع الحكم .

الحكمة دفع مشقة الصيام عن المسافر لكن المشقة تختلف باختلاف الناس . . فمثلا الناس المترفين فى بيوتهم . . المشقة فى حقهم لا تعتبر مشقة لرجل فلاح مسافر مثلا . . لذلك يقال إن العلة فى إفطار الصائم دفع المشقة لأن المشقة غير منضبطة وهذه حكمة لا تصلح أن تكون علة لذلك قالوا أن العلة فى إباحته للصائم هى أن يسافر فى الفترة التى يطلق عليها عرفا أنها سفر وهى يومان بالجمال أو ٨٠ كيلو مترا هذه العلة مضبوطة لا تختلف . .

نور الشريف : مؤكد اختلاف وسائل المواصلات مثل الطائرة المكيفة التى تنقل المسافر فى ساعات لا تعتبر سفرا يبيح الإفطار !

الشيخ الباقورى : أبدا ممكن يسافر الإنسان وتكون طائرة مكيفة ويفطر لأنه ممكن أن يكون فى بيته مستريحا أكثر .

وقلت : الحالة النفسية التى يكون عليها الإنسان سواء القلق أو النقلة السريعة من مكان لمكان والخوف من الطائرة أعتقد يبيح الافطار .

الشيخ الباقورى : تمام . . إذن هناك فرق بين العلة التى لا تختلف باختلاف الأشخاص وهى معنى السفر والحكمة التى هى دفع المشقة . . المشقة تختلف فلا تصلح علة والسفر لا يختلف فيصلح علة ولهذا جاء فى القرآن « **من كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** » فليس هناك تحديد لا للمرض ولا للسفر كل ما يطلق عليه عرفا أنه مرض يبيح الفطر .

* * *

وبسعادة غامرة وبعطاء سهل كأنه النبع الصافى وبروحه المرحة العالية إلتفت إلى الجمع وقال الشيخ الباقورى :

. . هاتوا ما عندكم من أسئلة . . أنا سعيد بكل ما تسألون ؟

فقال نور الشريف وهو يغالب الخجل :

ــ فى الواقع إحنا أرهقنا حضرتك جدا . . لكن هى فرصة فعلا لنسألك ما نريد لأننا لن نجد من يجيبنا خيرا منك . . ماذا عن الغناء فى الإسلام ؟.

وقالت نورا : وماذا عن التماثيل ؟

وقال الشيخ : التماثيل أباحها الامام محمد عبده وهى تعتبر فنا معبرا . أما عن الغناء فقد كان لرسول الله حاد أو منشد اسمه النجاشى وكان حسن الصوت لدرجة أن الرسول كان يدللّه « أنجشة » وكان إذا خرج خرج معه بعض نسائه وركبن العيران ويغنى النجاشى فتسرح الابل ومعروف عنها أنها تجوع وتظمأ . . وحينما يغنى لها تنطلق وتقتحم الصعاب بالغناء . . فكان سيدنا رسول الله يقول التعبير :

يا (أنجشة رفقا بالقوارير) . .

أى ترفق بالنساء اللاتى يشبهن الزجاجات الرقيقة واللاتى يركبن الجمال فإذا أسرع يؤذيها وأظن أنه ليس هناك تعبير أرق من تعبير رسول الله . . فإذا كان الجمل ينفعل بالغناء والموسيقى فأين يقع الانسان من هذا إذن ؟

نور الشريف : حقيقة الانسان يتأثر بالغناء والموسيقى إلى حد كبير .

فقلت : إن الموسيقى تستخدم علاجا الآن ليس للأمراض النفسية فحسب بل للأمراض العضوية أيضا فقد أجريت تجربة أخيرة على مرضى السكر بحيث يستمعون يوميا إلى موسيقى مهدئة لوقت محدد وبعد أيام قليلة كانت نتيجة التحليل مدهشة . .

وقبل أن نترك شيخنا الجليل العظيم يستريح من علامات الاستفهام الكثيرة التى وجهت إليه وأجابها بفطنة وغزارة علمه وسعة صدره سألته أن يقول لنا دعاء لجمعية الأخاء الدينى التى تضم مجموعة كبيرة من المثقفين المصريين مسيحيين ومسلمين . .

فقال : اللهم إليك نتوجه وعليك نتوكل وبك نستعين واياك نسأل أن ترزقنا قوة الإيمان بك وحسن الثقة فيك وجميل التوكل عليك ونسألك‌يا الله أن تجعل كلا منا وفيا لعقيدته أمينا على دينه فى غير تزمت نشقى به فى أنفسنا ولا تعصب يشقى به مواطنونا ونتضرع إليك يا ربنا أن تبارك إخاءنا الدينى وتجعل الصدق رائدنا والعدل غايتنا منه والسلام ذخيرتنا فيه يا حى يا قيوم ياذا الجلال والاكرام آمين) .

وخرجنا ولا نريد أن نخرج . . أمضينا أربع ساعات مضت لم نشعر بها . . أحسسنا فقط بالحرج فقد تصورنا أننا لابد قد أرهقناه ولو أن الإرهاق لم يبد عليه تأدبا وسعة صدر تذكرنا بما فى خيالنا من صور لرجالات صدر الإسلام وصحابة الرسول

حيث كانت إجابات السائلين عندهم متعة . . رحمه الله رحمة واسعة بقدر ما نفع الناس من علمه .

* * *

حينما شرعت فى جمع حوارات مولانا الشيخ الباقورى فى كتاب تكتمت الخبر حتى يكون مفاجأة لأسرته الصغيرة أهل بيته ولكل محبيه وتلاميذه فى مصر كلها . . وفجأة وجدت السيدة حرمه تحادثنى وتطلب منى أن أعيد قراءة حوار كتبته فى يوميات الأخبار فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٧٧ وكان الحوار حول رأيه فى تاريخ المسلمين وكيف يغزو السينما . . وقرأت الحوار وقررت أن أضمه لهذا الكتاب ومعه رأيه أيضا أثناء رئاسته للجنة الشئون الإسلامية التابعة للجنة المركزية بالإتحاد الإشتراكى .

أردت بهذا أن أفرد أكبر مساحة ممكنة من حواراتى معه والتى تضم آراؤه فى كثير من الأشياء وليس مشواره ثائرا فقط ولكن مقومات هذه الثورة أيضا من تأصيل لأرائه فى الفن والحياة .

* * *

تعقد لجنة الشئون الإسلامية التابعة للجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكى اجتماعا يحضره أكثر من ٤٠ عضوا برئاسة فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى ، لتحديد موقف الاسلام من فيلم « محمد رسول الله » الذى قررت المغرب وقف تصويره بعد سلسلة من الاتصالات بين الدول العربية .

وخلال الاجتماع الذى تعقده لجنة الشئون الاسلامية . . ستتم مراجعة سيناريو الفيلم ، ومناقشة تفاصيل الشخصيات التى تضمها أحداث الفيلم قبل إصدار الكلمة الأخيرة .

وقصة فيلم « محمد رسول الله » بدأت عندما تقدم منتجه مصطفى العقاد بمشروعه إلى مجمع البحوث بالأزهر ، الذى أباح عنوان الفيلم ، ولكنه اشترط عدم تمثيل شخصية النبى ، ولا أحد من أصحابه ، ولا أحد من أهل البيت .

وقد أعد اسماعيل القاضى عضو اللجنة المركزية ومقرر لجنة السينما بها تقريرا عن فيلم « محمد رسول الله » يتم مناقشته اليوم وقد أثبت فيه إسماعيل أن هذا الفيلم ليس كما قيل عنه أن مصر مشتركة فى انتاجه مع السعودية ، وأن ضمن أحداث

السيناريو ما قد يسيء إلى الإسلام وأن سيناريو الفيلم لم يعرض على إدارة الرقابة على المصنفات الفنية بالقاهرة لهذه الأسباب ولغيرها لابد من إيقاف تصوير الفيلم .

قال لى فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى رئيس لجنة الشئون الاسلامية باللجنة المركزية .

ـ الموضوع ببساطة إما أن نجنى على التاريخ ، وإما أن نجنى على الشخصيات المقدسة التى ستظهر فى الفيلم . فإذا ظهر أصحاب الرسول وآل بيته فى صورتهم التى كانوا عليها . . وهى صورة لا تعجب الذوق الحاضر فنكون قد اعتدينا على أشخاصهم المقدسة . وأما أن نلبسهم صورة أخرى تعجب الذوق الحاضر فنكون قد اعتدينا على التاريخ . . ولا خير فى الاعتداء لا على الشخصيات المقدسة ولا على التاريخ ! .

ومضت لحظات صمت قال بعدها فضيلة الشيخ الباقورى :

أعداء الإسلام يصورون محمد ﷺ دائما بصورة الإنسان الذى أقام دعوته إلى الإسلام على القوة والسيف . . ومن بين أحداث الفيلم معركتا بدر وأحد . وهذا يعنى تأكيد الدعوة الكذوب التى يقوم بها أعداء الإسلام من أن الإسلام قام بقوة السيف ، وليس بقوة الاقناع .

ويقول رئيس لجنة الشئون الاسلامية باللجنة المركزية :

ـ إخواننا الذين قدموا فيلما عن السيد المسيح عليه السلام فى أمريكا اشترطوا على من مثل شخصيته أن يحكم على نفسه بالموت الاجتماعى . . فلا يرقص ولا يجلس فى مقهى . . ولا يأتى بأى صغيرة تمس كيانه بين الناس لأنه فى رأيهم سوف يكون صورة للسيد المسيح . . فإذا كان فى تصرفه عمل ناقص نسب الناس هذا العمل إلى المسيح وسخروا منه ، وهذا معنى جليل يجب التنبه له . . .

وتساءل فضيلة الشيخ الباقورى قائلا :

● **ما هى الفائدة الملحة التى تجعلنا نواجه كل هذه الأخطار ونستسيغها ؟**

ورد على تساؤله بقوله :

ـ لا نرى سببا إلا التسلية . . ومن السخف بمكان أن يكون هؤلاء الكبار الذين أخرجوا الإنسانية من الظلمات إلى النور وسيلة تسلية ولهو فى المجتمع .

ثم وراء ذلك ليست لدينا الشخصيات القـوية التى تستـطيع بكبـر نفسها ، وعظمة أخلاقها أن تكون عنوانا صالحا لأى شخصية من هؤلاء الأسلاف العظماء .

وينهى فضيلة الشيخ الباقورى حديثه معى عن القضية التى يصدر الحكم فيها خلال ساعات قائلا :

ــ وأنا لا أقول « لا » عن مثل هذا الفيلم . . ولا ممنوع قانونا . . ولكننى أقول « عيب » وهو أقوى تعبيرا من حرام ديناً ، وممنوع قانونا .

خاتمة الكتاب

عفواً قارئى العزيز

والله ما قصدت أن أقدم حياة هذا الرجل العظيم ولكنى فقط أطوف بك حول ذلك « الثائر تحت العمامة » الذى عاش حياته يبذر بذور الثورة من أجل زرع حديقة دائمة الخضرة قطوفها دانية من الشورى والعدل والتكافل الاجتماعى . .

لعلى قد وفيت دينا لهذا الرجل وهو توصيلى للناس بعض من حكمته .

نعم الباز

- زوجاتهم وأنا . .

صدر عن دار الشعب عام ١٩٧٥

الطبعة الثالثة عام ١٩٨٧

- سنوات لحب

كتاب اليوم

قصص قصيرة

تحت الطبع

- نشتهى أمة الرزاق . . . رواية طويلة
- التحقيق رقم الف . . . مجموعة قصصية



● فى معهد أسيوط الدينى كان الطالب أحمد حسن الباقورى هو خطيب المعهد والمنافس لشيخه العدوى . .



● حوار الأمانى بين الشيخ الباقورى وقد خلع العمامة وبين الأستاذ فتحى رضوان والدكتور نـور الدين طرف . . حوار عمره ثلاثين عاما .

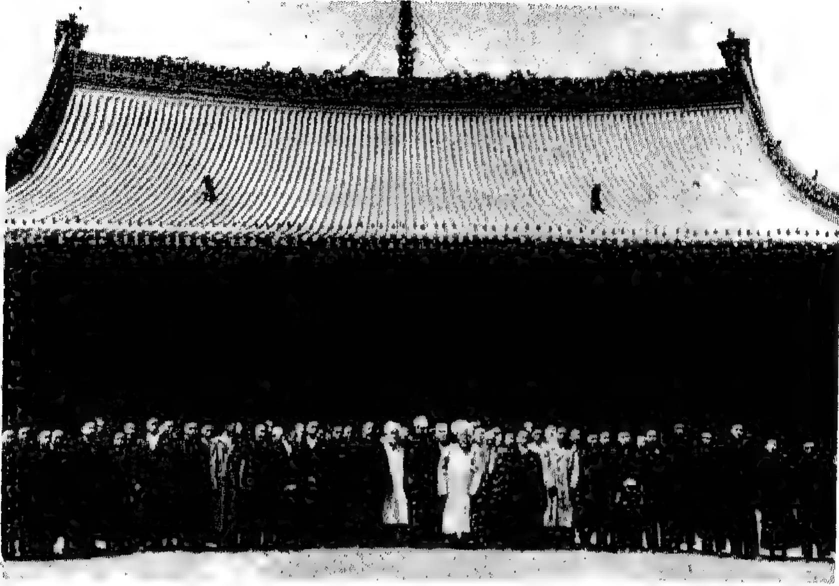




● بعد الثورة بشهور : حين كان الشيخ الباقورى يقوم بالدعوة للثورة والدين فى الأحتفالات الشعبية . . وبجواره جمال عبد الناصر وحسين الشافعى وخلفه محمد أحمد



● صورة تجمع بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والشيخ الباقورى وسليمان حافظ فى بداية الثورة عندما ذهبوا فى رحلة البحر الأحمر بالسفينة فخر البحار للدعوة للثورة . .



● فى زيارة عند المسلمين .



● الباقورى وجمال عبد الناصر وصلاح سالم والشافعى فى نزهة نيلية .



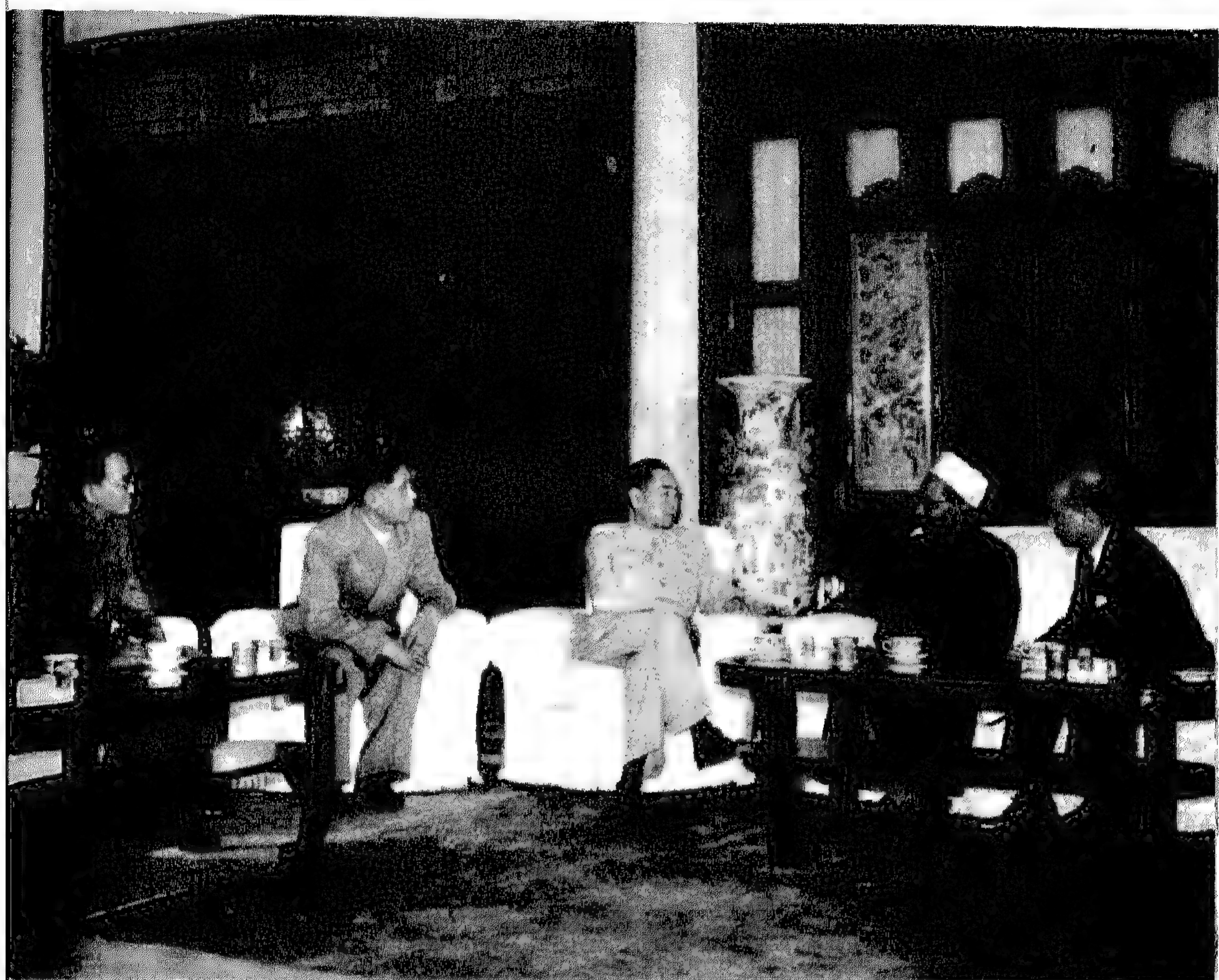
● فى زيارة لجنوب السودان : الشيخ الباقورى يجلس على الأرض ويتابع تحفيظ القرآن .



● الشيخ فى ثياب العسكرية عندما إلتحق بكتيبة أبو بكر الصديق وبجواره كمال الدين حسين



● عبد الناصر قال لى : « سوف ترى أننى أحب الأخوان » ـ. ولكنه لم يكن له وجود واضح فى الاتصال بهم قبل الثورة



● أحمد حسن الباقورى عند رئيس وزراء الصين



● السادات كان يتردد على الأخوان المسلمين وكانت إتصالاته بهم مستمرة





● الوزارة الأولى : الباقورى للأوقاف وسليمان حافظ للداخلية والقبانى وفتحى رضوان وزيرا دولة



● همسة من نجيب فى أذن الباقورى ت؛ كان رجلا طيبا لا يستطيع قيادة ثوار



● فى مناورات الجيش المصرى : عبد الناصر يشير للباقورى إلى أحد المواقع المقدمة



● مع صلاح سالم فى رحلة السودان إكتشف الباقورى أنه كان عصبيا



● فى باندونج . . أحتفى سوكارنو بالوفد المصرى برئاسة عبد الناصر وطلبوا من الشيخ الباقورى القاء خطبة الجمعة فى مسجد « باندونج »



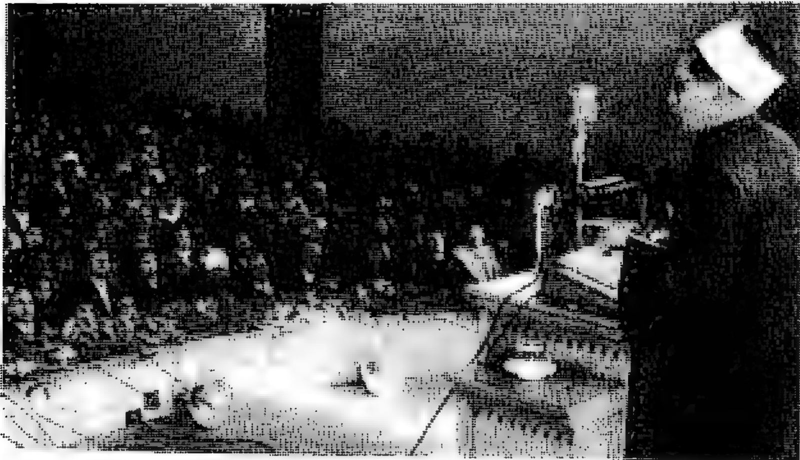
● الرئيس عبد الناصر وحسين الشافعى وصلاح سالم والباقورى يدعو لمبادىء الثورة والإشتراكية



● فى جولة بمناطق الإصلاح الزراعى فى الصعيد . إفترش جمال عبد الناصر الأرض وبجواره عبد الحكيم عامر وصلاح سالم والشيخ الباقورى ونور الدين طرف وعبد الرازق صدقى والصورة من أرشيف الباقورى



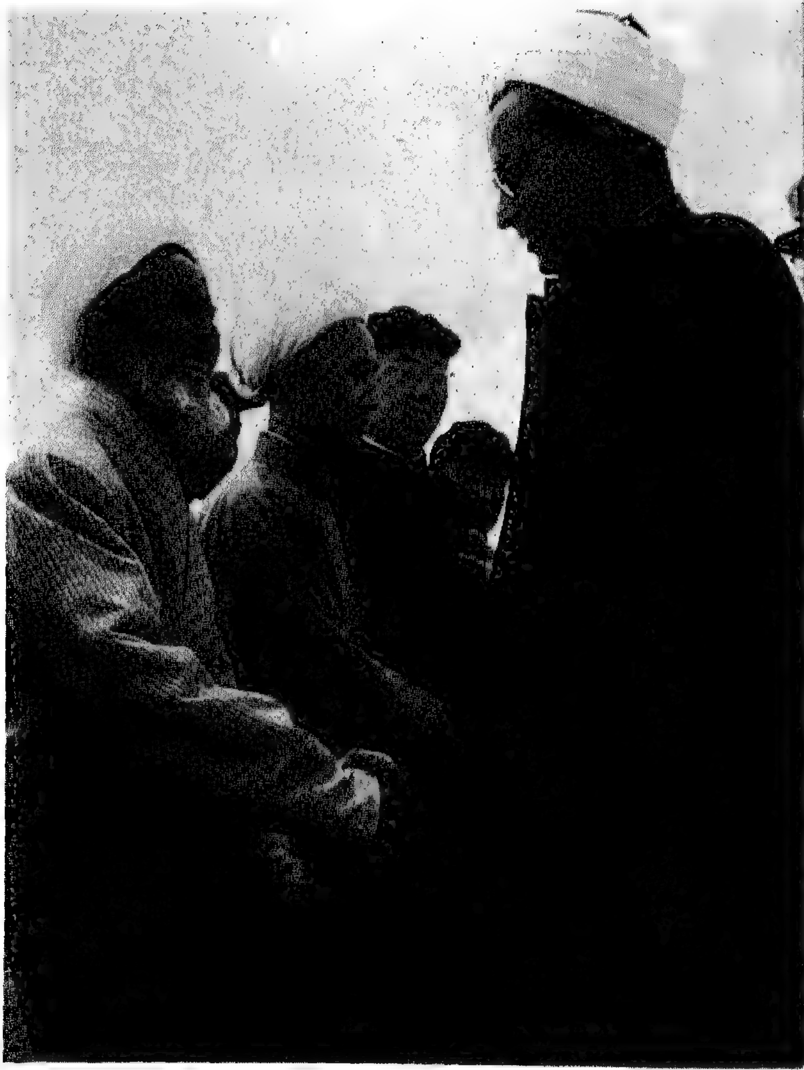
● مؤتمر جده ١٩٥٦



● خطاب الباقورى فى عيد الميلاد ـ منبر كنيسة قصر الدوبار ١٩٥٧



مؤتمر جدة ١٩٥٦



● مع علماء المسلمين فى شمال الصين .



● الباقورى . . وزير الأوقاف



● الأستاذ الباقورى وفى يده استقالة الوزراء تمهيدا لأعطائها للرئيس محمد نجيب



● الباقورى مع أولاده



● الباقورى مع نور الشريف ونورا

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٨/٥٥٥٥

ISBN٩٧٧ - ٠١ - ١٨٨٦ - ٩



- الكاتبة الصحفية والأديبة نعم الباز .
- حاصلة على ليسانس الآداب قسم الصحافة من جامعة القاهرة .
- التحقت بالعمل فى مؤسسة أخبار اليوم فى نهاية عام ١٩٥٥ .
- التزمت بقضايا المجتمع ورصد التغير الاجتماعى ومتابعته سواء بالحوار أو التحقيق الصحفى فى صحف ومجلات المؤسسة .
- فى عام ١٩٦٠ أسند إليها تحرير « باب الأطفال » بجريدة الأخبار والتزمت به حتى الآن كمنبر يطل منه الطفل على المجتمع المصرى والعربى والعالمى .
- انضمت إلى كتاب اليوميات بجريدة الأخبار منذ عام ١٩٧٥ وحتى الآن وانحازت إلى القضايا القومية سواء داخل مصر أو فى الوطن العربى .
- تعتبر أن محو الأمية هى القضية التى يجب أن تشغل كل المثقفين فى مصر وأن الكتاب يجب أن يدعم ويكون فى متناول الجميع لأنه رغيف العقل .

مطابع الهيئة المصرية